صورة يوم 27 يناير حين يكون متعامدًا على الشمس ويظل هكذا كل الشتاء والربيع.

ويوم 10 مارس تبلغ المحطة المدارية حول المريخ غايتها تمامًا وسوف تمضي السنوات القادمة في ترسيم كوكب المريخ، سطح وأعماق التربة، بحثًا عن مياه تحت التربة ورصدًا للحرارة والغازات واهتزاز التربة.. ويوم 29 مارس سوف يكون كسوف الشمس كاملاً على قارة إفريقيا.. ويوم 11 إبريل تنطلق سفينتا فضاء لتصوير الشمس بصورة ذات ثلاثة أبعاد وخصوصًا الفيوض المغناطيسية وإطلاق ملايين الأطنان من الجزيئات في اتجاه كوكب الأرض.

وفي العام الجديد سوف تعاود اليابان محاولاتها الجريئة المدروسة في رحلات إلى القمر وكذلك الصين، وفي هذا العام أرجو الله أن أفلح في تركيب تلسكوب جديد في قرية أحد أصدقائي وسط الصحراء لأتمكن من التأملات العميقة الصافية وسوف أرى جمال الكون وأبهة الخلق وعظمة الله.

آسف جدًّا.. فقد نسيت أن أسألك إن كان عندك تلسكوب!!

صعلكة قوانين الطبيعة في شرنوبل!

كنا اثنين: رجل الأعمال محمد محمود وأنا عندما دعانا الرئيس كوتشيما رئيس أوكرانيا إلى الفرجة على المصانع التي تحولت من إنتاج الصواريخ حاملة الأقمار الصناعية إلى إنتاج الجرارات الزراعية. ذهبنا. رأينا. عرفنا أن سفن الفضاء الروسية تعتمد على صواريخ أوكرانيا التي يبعثون بها إلى موسكو ليركبوا لها عقولا، يعني الصاروخ من أوكرانيا والعقول والسفن من روسيا. وتمامًا كما كان يفعل الإمام أحمد آخر ملوك اليمن. فكانت الدبابات في مكان ومدافع الدبابات في مكان آخر..

وأوكرانيا واسعة شاسعة. وفي تلك الأيام كان الجو شديد الحرارة. وكانت هناك معاهدة غير مكتوبة بين الشمس وبنات أوكرانيا. الشمس تشتد حرارتها وبنات أوكرانيا يتعرين – متعة للسائحين!

وسمعت العجب عن الذي حدث في المفاعل النووي في شرنوبل الذي انفجر سنة 1989 فأطلق ما يعادل 400 قنبلة نووية من الإشعاع الذي قضى على مائة ألف مواطن والحيوان والنبات.. وألوف القرى تحولت إلى أشباح.. ومضت السنوات وعادت الطيور التي قد انقرضت وأخرجت الأرض نباتًا صعلوكًا – أي ينمو على كيفه فترى الشجرة

تنمو وتنمو ولا نعرف أين تتجه أغصانها وثمارها وأزهارها.. فالشجرة غير الشجرة.. فشجرة القطن مثلا لها صفات شجرة الأرز وأغصان شجرة البرتقال.. وظهرت للحيوانات أقدام وعيون وأسنان.. حتى الأطفال ولدوا مشوهين.. لقد ارتبكت الدنيا كلها في مساحة ثلاثة آلاف كيلو متر مربع!

إلى متى سيظل هذا الحال؟ لا أحد يعرف.

ومن الغريب أن الطيور التي تكاثرت مضطربة ومشوهة قد فقدت توازنها.. تمامًا كأن مستشفى للأمراض العقلية يتزوج مرضاها من مريضاتها وأتوا بالكلاب والذئاب التي تكاثرت بإرضاع وتربية الجميع – لقد أصيبت البيئة وعوامل الوراثة بالجنون فالطيور التي تهاجر إلى إفريقيا أكثرها عاجزة عن التزاوج أو ليست لديها أية رغبة في ذلك!

سألني الرئيس كوتشيما: إيه رأيك؟ قلت: وهل من الممكن أن يكون لي رأي؟ قال: تحب. قلت: ولا أحب أن أرى ولا أسمع هذه الصعلكة في قوانين الحياة!

سألت أحد مستشاري الرئيس كوتشيما: ولكن في بلادكم أجمل جميلات أوروبا؟ فأجاب بصورة قاطعة: لسبب بسيط أن أحدا لم يولد ولم يذهب إلى دائرة الدمار النووي في شرنوبل! قلت له: إن بعض نسائنا لم يذهبن إلى شرنوبل ومع ذلك ففيهن كل أعراض الدمار والرغبة في تدمير الرجل!

هربا من قبلة مناحم بيجين؟!

الدبلوماسي د. محمد البرادعي هو رابع مصري يفوز بجائزة نوبل. ورابع مسلم يفوز بجائزة السلام بعد الرئيس السادات وعرفات والسيدة الإيرانية شيرين عبادي. ويبدو أن المصريين كانوا دبلوماسيين أيضًا في الحفاوة به: لا طبل ولا زمر ولا أطلقوا اسمه على شارع أو على ميدان.. شيء غريب!

أذكر أن السادات قد كلفنا: د. ماهر وزير الخارجية السابق وأنا لنكتب الكلمة التي سوف يلقيها نيابة عنه في الاحتفال في أوسلو المهندس سيد مرعي.. وأنا الذي اقترحت أن يبدأ سيد مرعي كلمته بأن يقول بالعربية: السلام عليكم ورحمة الله ثم يترجمها إلى الإنجليزية بعد ذلك..

وكان الحفل بسيطًا والمكان متواضعًا جدًّا. ولم يكن فخمًا وفي غاية الأبهة كالذي كان فيه الاحتفال بالبرادعي.. بل أدهشني جدًّا أن يجلس في مكان قديم على مقاعد متحركة. والمكان كأنه إصطبل.. أو كأنه الكهوف التي يجلس فيها الشبان يتعاطون المخدرات. وجلسنا في الصفوف الخلفية، ولم نر الجالسين في الصف الأول. حتى الأضواء كانت خافتة كأنهم يتسترون على فضيحة عالمية.

وجاء السيد مناحم بيجين الفائز بجائزة السلام أيضًا.. وجاءت اللحظة الحاسمة وهي أن يتصافح هو وسيد مرعي..

وعندما عدت إلى الفندق طلبت الرئيس السادات. وقبل أن يقول: ألو، وجدته يضحك من كل قلبه. شفت هاها.. شفت يا أنيس ماذا حدث .. أنا والله لا أستطيع أن أفعل مثل سيد مرعي.. هاهاها..

أما الذي لم يستطع أن يفعله لو تسلم هذه الجائزة بيده هو أن يصد بيجين عن محاولة عناقه وتقبيله. ولكن المهندس سيد مرعي قال للسادات إنه يستطيع ذلك.. فلم يكد يقترب منه السيد مناحم بيجين حتى مد سيد مرعي يده على طولها فلما حاول بيجين أن يقبله سبقه ذراع سيد مرعي الذي أبعده وأوقفه عن العناق الإعلاني المنتظر!

أما لماذا لم يذهب الرئيس السادات فلأنه لم يكن سعيدًا بأن يفوز بجائزة نوبل مناصفة والسبب الثاني أنني أبلغته أن سيدة عضوًا في منح الجائزة قد اعترضت على استحقاق السادات لهذه الجائزة.

واتصل الرئيس السادات ببيجين يهنئه ضاحكًا قائلاً: ها ها.. يا مناحم إن سيد مرعي لم يستطع أن يقبلك خوفًا من زوجته.. هاها! وضحك بيجين قائلا: وأنا خوفا من زوجتي ذهبت أقبله.. هاها!

واتصل الرئيس السادات بحرم المهندس سيد مرعي: الحقيقة سيد زوج مطيع وليس فلاحًا وإنما دبلوماسي.. فهو لم يقبل بيجين أمام العالم.. ولكن بعيدًا عن الكاميرات عانقه وقبله.. هاها..

وهو ما لم يحدث!

للمرة الألف: هل أصل الإنسان قرد؟!

أمريكا تستأنف الحكم في قضية قديمة تلح علينا من حين إلى حين: هل الإنسان أصله قرد؟ وهي قضية خلافية معقدة، ولم يفلح أحد أن يجيب عليها علميًا، هذه القضية قفزت من كتاب الباحث الكبير دارون، الكتاب أسمه (أصل الأنواع).

وفي الأسبوع قبل الماضي أخرجت أمريكا كنوزها في متاحف التاريخ الطبيعي، أما العلماء فلم يهتدوا إلى رأي واحد، بل إن هناك خلافات كثيرة، أول هذه الخلافات أن هناك شبها بين الإنسان والقرد، ولكن لا يوجد دليل واحد على أن القرد تحول إلى إنسان في أية مرحلة تاريخية.

أما رجال الدين فيرون أن الجواب الذي لاجواب غيره أن الله أكرم بني آدم، وخلق آدم وخلق حواء من آدم، ومنهما كانت هذه البشرية.

ولكن هناك مشكلة، وهي أن رجال العلم يرفضون أن يكون التفسير الديني هو الذي يدرسه الطلبة، كما يرفضون التفسير الذي يرون فيه إقفالاً لباب الاجتهاد، ويفضلون أن يفكر أولادهم حتى لو لم يجدوا حلاً، وبما أن المواطن حر في اختيار النظريات التي يتعلمها

ابنه في المدرسة، فبعض الآباء يرفضون تدريس هذه النظرية أو فرض الدين على الطلبة.

وفي سنة 1927 اتهموا المدرس جون أسلوبس بإصراره على تلقين نظرية التطور هذه للطلبة، وأنه داعية للإلحاد، وأنه يخرج الصغار من معتقداتهم الدينية النبيلة، فاعترض آباؤهم وأدانوه وتظاهروا ضده حتى أدخلوه السجن.

وبهذه المناسبة اتجه كثير من الباحثين والسياح إلى جزر جالا باجوس وهي كلمة إسبانية معناها السلاحف، لكثرة السلاحف في الجزيرة شكلاً ولونًا وحجمًا، وهذه الجزيرة هي أكبر متحف للكائنات البحرية في التاريخ، ومن هنا بدأت خيوط الثورة البيولوجية التي فجرها العالم البريطاني الكبير تشارلز دارون، وهذه الثورة لها معنى واحد: كيف كانت البداية، أي بداية الخلق، هل من الضروري أن تكون بداية واحدة لكل الكائنات ثم تفرعت وتناثرت أشكالاً وألوانًا في البر والبحر والهواء؟ أي كما أن الكون بدأ من مادة واحدة فلابد أن الحياة أيضًا كانت بدايتها خلية حية واحدة؟

إنها قضية صعبة ومعقدة جدًّا، ولايزال الإنسان يستأنف الحكم من حين إلى حين، وهذه طبيعة العقل الإنساني ان يبحث، طبيعة القلب أن يتفتح ويؤمن بما أنزل الله.

اللهم ارزقني بلعبة أو لعبتين!

والله فشلت تمامًا في أن يكون لي هواية من أي نوع، هل لأنني لا أريد؟ الجواب: بل أريد، هل ليس عندي صبر؟ بل عندي صبر، هل الجو لم يكن يساعد على ذلك؟ بل كان يساعد، إذن ماذا؟

إن اللعب والهواية تحتاج إلى رغبة قوية، هذه الرغبة تقوم بتنويع كل الأهواء الأخرى، مثلاً لاعب كرة القدم، لو خيرته بين كل ما في الدنيا وأن يلعب جائعًا في ليلة موجعة الأرق، فلن يتردد في أن يقفز إلى الملعب وراء الكرة، ولم يحدث شيء من ذلك بالنسبة لي، فقد لعبت كرة القدم والسلة والطاولة، ولم أنشغل بها، وحاولت أن أعزف على البيانو وعلى العود والناي ولم أتعلق بواحدة منها - كأنني أقبلت عليها أعمي أو أطرش أو بلا أطراف، هل خسرت شيئًا هامًّا؟ الجواب: نعم، ولذلك حاولت أن أتعلم الشطرنج، وقد أتيت بكتب كثيرة، وقرأت حياة (أساتذة) الشطرنج وأبطال العالم، ولم يكن في نيتي أن أكون مثلهم، ولكن أن أنشغل بهم، وبما كان يشغلهم، وحفظت بعض الأدوار التاريخية لأساتذة روسيا وبلغاريا، وكنت أتفرج منبهرًا على الأديب الروائي فتحي غانم، فقد كان من أبطال الشطرنج في مصر، وكان يستطيع أن يلعب مع عشرة في وقت واحد وينتصر عليهم، وأحيانًا كان يلعب معصوب العينين، وينتصر أيضًا، كيف؟ إنها موهبة.

أما العم أبو إسماعيل فهو معجزة الخلق، إنه فلاح، لا قرأ ولا كتب، ولكن إذا ذهبت لتلعب معه فأنت مغلوب مغلوب يا ولدي، وقد ذهبنا بالمرحوم فتحي غانم ليتحدى أبو إسماعيل، وطالت اللعبة وفجأة وجدنا أبو إسماعيل قد انسحب وأشعل سيجارة.. ماذا يا أبو إسماعيل؟ قال بمنتهي الهدوء: ولا حاجة، الملك مات! واندهش فتحي غانم وصرخ هو أيضًا: فعلاً الملك مات، أنت معجزة يا أبو إسماعيل!

وتركت الشطرنج لأنني أفكر كثيرًا، وفي استطاعة أي طفل في الأسرة أن يكشش الملك بينما أنا غارق في أفكار كثيرة! وأخيرًا بدأت أجرب لعبة (السودكو) وهي ملء المربعات الـ 81 بأرقام لا تزيد على تسعة طولاً وعرضًا، انشغلت بها، ولم أجدها ممتعة! أخيرًا جدًّا اهتديت إلى موقع هيئة الفضاء الأمريكية (ناسا).. وعلى هذا الموقع وجدت موقعًا بديعًا، فوازير فلكية، مثلاً: تظهر أمامك صورة، وإلى جانب الصورة يقال لك: هذه سحابة من غاز الميثين تبعد عن الأرض خمس سنوات ضوئية، فأين تكون؟ سؤال صعب، فزورة أخرى: صورة لقنوات على ظهر كوكب، الخطوط بالطول مرة وبالعرض مرة، متى عرفناها، متى اكتشفناها وما الدلالة؟ الإجابة سهلة، الخطوط على كوكب المريخ، واكتشفها العالم الإيطالي إسكباريلي، وكان من رأيه أن هناك أناسًا على المريخ تزرع الأرض وترويها. ويومًا بعد يوم تعبت، وأنا أحد الهواة حشر نفسه بين العلماء!

فاللهم اهدني إلى لعبة تستغرقني وتريحني!

لو كان عندنا ألف زمار!

نحن في حاجة إلى ألف زمار، إلى أوركسترا من الزمارين، ولكن من نوع آخر، لماذا؟ أحكي لك الحكاية، يقال إنه في يونيو سنة 1184 جاء إلى مدينة هاملن الألمانية رجل يقول إنه قادر على إخراج الفئران من البيوت في زمن الطاعون الأسود. أعلنت المدينة أنه يستحق المكافأة الكبيرة، إذا هو نجح في ذلك، وراح الزمار ينفخ والفئران تمشي وراءه حتى نزل بها في نهر فيزر فماتت، ورفضت المدينة أن تعطيه المكافأة، فغاب الزمار شهورًا، وانتهز فرصة الصلاة في الكنيسة وراح ينفخ في مزماره فسار وراءه 130 طفلاً، دخل بهم أحد كهوف الجبل باستثناء طفلين أحدهما أعمي والثاني أعرج.

وهناك حكايات كثيرة عن ذلك، أو كانت السبب في هذه القصة الشعبية، منها أن رجلاً جمع الأطفال وعمل منهم جيشًا ليحاربوا في القدس، فساروا وراءه ولم يعودوا، أما الأطفال فكانوا يرقصون، وقد عرفنا في ما بعد أن الرقص سببه أنهم أصيبوا بمرض هنتنجتون وهو الرقص اللاإرادي، شاعرنا القديم قال: كالطير يرقص مذبوحًا من الألم!

ودخلت هذه الأسطورة كل الفنون الشعبية في ألمانيا، فالأخوان جريم قد جعلا منها قصة بديعة، أما الشاعر الإنجليزي روبرت بروسنج فنظمها قصيدة رائعة.

وفي تفسير هذه القصة قيل إنها رغبة لا شعورية عند الشعوب في البحث عن خلاص من أمراضها وأحزانها، وظهور الزمار في حياة الفئران موجود في كل الشعوب أيضًا، فعندنا في مصر يوجد رجل نسميه (الرفاعي) يزمِّر فتخرج الأفاعي من الشقوق واحدة وراء أخرى كأنها مخمورة أو كأنها منومة مغناطيسيًّا.

والهموم التي في دنيانا في حاجة إلى معجزة، تنقذنا من الدمار المادي والمعنوي، نحن في حاجة إلى ألف زمار، مليون ينفخ وتخرج وراءه الأمراض، وأولها الفقر والشك والحقد، أو يخرج وراءه المفسدون في الأرض وفي الناس ويذهب بهم الزمار إلى أي بحر أو كهف أو جهنم، لو كانت كل المصائب تتحول إلى فئران أو إلى أفاع في انتظار (زمار هاملن)، إن هذا الطرب والرقص الموجود في كل وسائل الإعلام، ليسا استخفافًا بكوارث البشر ولا امتهانًا لجرائمهم، وإنما هي صورة أخرى من مرض هنتنجتون أو مرض (خوريا) – والكلمة يونانية معناها الرقص، وهو رقص مرضي.

وعندنا في مصر حكاية أخرى تقول إن زمارًا أعمى سمع أناسًا يتكلمون فوقف يزمِّر، يتسول، فقالوا له: هنا مسجد، ابعد! فسكت وهو يقول: لله يا زمري!

فهل الزمارون كلهم عميان وضحكنا عليهم وقلنا لهم: إن هذه مساجد، فمشوا دون أن يستخرجوا كل شرور البشر؟!

تعلمت من قليل الأدب!

في ديوان «بستان الورد» للشاعر الفارسي سعدي هذه النكتة: سئل رجل من أين تعلمت الأدب؟ قال: من واحد قليل الأدب، فكان إذا فعل شيئًا امتنعت عنه!

ولم أر أحدًا يطبق هذه الحكمة مثل الموسيقار محمد عبد الوهاب. كان يقول: إن أحسن نموذج لأسوأ سلوك: سيد درويش قديمًا، وبليغ حمدي حديثًا، فكلاهما موهبة عظيمة، لكن سيد درويش بدد موهبته بتعاطي المخدرات والمنبهات وكذلك بليغ حمدي!

ولذلك كان عبد الوهاب لا يشرب الخمر ولا المشروبات الساخنة، ولا يأكل الآيس كريم، فهو يرى أن المطرب يجب أن يصون حباله الصوتية، وقدرته على التنفس، وكان لايدخن أيضًا.

والذي لم ينتبه إليه الناس أن عبد الوهاب كان حريصًا على أن يزور أي فنان صاعد ليرى بيته وأهله وطعامه وشرابه وغرفة نومه. سألته في ذلك قال: إن الموهبة كائن رقيق حساس، ولذلك يجب أن يهتم بها الفنان وأن يحرص عليها، وأغلب الشبان لايفعلون ذلك، وأنت تستطيع أن تعرف كم هو العمر الفني لأي واحد إذا رأيته في

بيته، أي كيف يصون موهبته وكيف يحتفي بها. أكثر الفنانين لا يعرفون أن لديهم موهبة، ولذلك يقضون عليها في مهدها!

وكنا نندهش عندما يستأذن عبد الوهاب ليدخل غرفته وينام، فكان يطلب إلينا أن نلقي فوقه أكثر من لحاف، ويلف نفسه كأنه مومياء فرعونية، أما السبب فهو حرصه على أن ينام في درجة حرارة واحدة بعيدًا عن التكييف، وفي ذلك صيانة لجهازه الوحيد الذي يملكه ويعيش به ويعيش عليه جسمه!

وفي يوم امتدحت المطرب الشعبي أحمد عدوية وقلت «إنه صاحب أقوى الأصوات وأكثرها تميزًا، وهو أعجوبة بين المطربين». أما السبب فهو أن أحمد عدوية له صوت قوي رغم أنه لا يرعاه رعاية كاملة، فهو يغني في الكباريهات حيث الجو ملوث بالدخان، ثم يخرج من الكباريه إلى الهواء البارد ثم يدخل في كباريه آخر، من حار إلى بارد إلى حار إلى بارد، ومع ذلك فصوته قوي لم يتأثر بشيء!

وفوجئت بأن عبد الوهاب قال: أنا من رأيك، ولكني لا أستطيع أن أصرح بذلك فسوف يساء فهمي من المطربين والملحنين ورجال الدين!

ولكن أحمد عدوية ليس النموذج الذي يجب أن يقتدي به صاحب الموهبة التي يجب أن يحميها ويصونها، حماية لنفسه وحماية لموهبته، والنموذج الرفيع لذلك: عبد الوهاب وأم كلثوم!

يا قاضيًا بات أعمى!

هناك عادة مصرية أنه عندما نرى الهلال نقول: هل هلالك شهر مبارك علينا وعلى المسلمين، وقال والدي - يرحمه الله - في قصيدة طويلة:

رأى الهلال فحياه بغير فـــم   أحلى التحيات أخلاها من الكلم

ورؤية الهلال مشكلة تتجدد كلَّ سنة، نحن رأينا، والسعودية لم تر، وتونس رأت، والرؤية كلها بالعين المجردة، ويكون شعبان 29 يومًا ويكون ثلاثين، وقد صدر للأستاذ عدنان عبد المنعم؛ قاض من السعودية، كتاب عنوانه (الأهلة – نظرة شمولية ودراسات فلكية) في 323 صفحة ومن مطبوعات الدار المصرية اللبنانية، وفي الكتاب قدَّم دراسة ضافية لمعنى «رأى يرى رؤية ورؤيا» كما جاءت في القرآن الكريم.

والآيات التي اختارها أكبر دليل على معاني الرؤية: ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾، ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾، ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ﴾، ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا﴾، ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلاَّ مَا أَرَى﴾، ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ

يُجَادِلُون في آيَاتِ اللَّهِ﴾، ﴿أَرَأَيْتَ الَّذى يَنْهي (٩) عَبْدًا إِذَا صَلي﴾، ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِني رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا﴾.

ومن رأي الأستاذ عدنان قاضي أننا نعقّدها ونجعلها عسيرة الفهم؛ فالرسول عليه الصلاة والسلام لم يحدد متى الرؤية ولا أين ولا كيف، والإسلام يسر.

وقد حدث في مصر أيام السلطان قنصوه الغوري أن اختلف العلماء حول الهلال، فكان قاضي قضاة المذهب الشافعي في مصر في ذلك الوقت اسمه الشيخ كمال الطويل قد أفتى بأن رمضان ثلاثون يومًا، بينما قالت كل العواصم إنه ناقص يومًا، فأفطر الناس يوم الصيام وصاموا أول أيام العيد! فثار الناس وتظاهروا أمام بيته يريدون الانتقام من الشيخ كمال الطويل لكنه ترك أولاده يدافعون عنه.

فقال أحد الشعراء:

يـاقـاضـيًا بـات أعـمـى   عـن الـهـلال الـسـعـيـد
أفـطـرت في رمـضـان   وصـمـت في يـوم عـيـد

وقال شاعر ناشئ:

إن قـاضـيـنـا لأعـمـى   أم عـلـى عـمـد تـعـامـى
سـرق الـعـيـد كـأن الـ   عـيـد مـن مـال الـيـتـامـى!

أسوأ من الإنفلونزا.. انتظارها!

أنا أول واحد يعطس في قارة إفريقيا – ولا فخر! وكان ثاني واحد هو الموسيقار محمد عبد الوهاب، وبعد ذلك نلتقي ونطلب أصدقاءنا في أوروبا وأمريكا بحثًا عن الأدوية الواقية من الإنفلونزا، الزكام والعطس والسعال وارتفاع درجات الحرارة.

أما أعراض الإنفلونزا التي تظهر علينا فليست الإنفلونزا، وإنما هي العقاقير القوية التي تهد الحيل، فلسنا مرضى ولكن كأننا تمامًا، كما يحمل إنسان إحدى مظلات الشواطئ للوقاية من الشمس، وتوجعنا أيدينا وأكتافنا، والسبب ليس ضربة الشمس، وإنما المظلة ثقيلة جدًّا

وبسرعة تعاطيت بالأمس لقاح الإنفلونزا العادية، فإن لم تكن للوقاية فلكي أطمئن نفسيًّا إلى أن يظهر لقاح إنفلونزا الطيور التي بدأت تنتشر من آسيا إلى أوروبا إلى أمريكا مرورًا بالشرق الأوسط، وهذه الإنفلونزا قد عرفناها في أوائل القرن الماضي، وهي لا تختلف عن الإنفلونزا العادية، ارتفاع في درجة الحرارة مع سعال وزكام وعطس وأحيانًا إسهال، وليس من المنتظر أن نعرف علاجها قبل الشهور الباقية من هذا العام.

وهذه الإنفلونزا انتقلت من الطيور الداجنة إلى البشر، أي الطيور التي يعيش معها وبينها فقراء آسيا، وتنتقل من الطيور إلى الإنسان وينقلها الإنسان كما ينقل كل إنفلونزا أخرى عن طريق ما يتناثر من فمه وأنفه، وضحاياها قليلون، ولكن الخوف هو من القدرة الهائلة عند فيروس الإنفلونزا أن يتحول إلى شكل آخر وأن يتمكن من جهاز المناعة في الإنسان، هنا فقط تتحول الإنفلونزا إلى وباء تنقله طيور البيت إلى الطيور الأخرى المهاجرة من قارة إلى قارة.

وقد واجهت أوروبا هذا المرض بالقضاء على كل ما لديها من الدواجن والبط والإوز، أما الطيور المهاجرة فلم تستطع السيطرة عليها، وما دامت الدنيا مفتوحة على بعضها البعض، طيورها على صغارها وكبارها، فلا حيلة لنا أمامها ومعها.

وأحمد الله أنني لم أقرب الطيور طوال عمري، لا متفرجًا، ولا آكلا، ولا معجبًا!

ولدت في مدينة التسامح الديني

نحن أبناء المنصورة من أصول فرنسية أو تركية، وعندنا جاليات أجنبية كثيرة ولها مدارسها وكنائسها، ولذلك كان المألوف أن نتكلم ونحن صغار لغات عديدة، وكان الأجانب يعلموننا ويعطوننا مكافآت مالية أيضًا، ولذلك تكلمت الفرنسية والإيطالية والألمانية صغيرًا، وكثيرون غيري، ولم يمض يوم في حياتي لم أردد فيه هذه الأسماء، جرجس وحنا وكوهين وليفي وجاك وماريان وفيوليت وأرليت، وهي أسماء لزملاء في المدرسة أو جيران، وكلنا نلعب في الشارع، أو نلتقي في المكتبة العامة، أو نتجمع في دكان كوهين الذي يبيع الورنيش والدبابيس والكبريت، ونشارك زميلنا في البيع أثناء غياب والده، وكذلك الزميل جرجس فأبوه ترزي، ويترك لنا المحل ونتولى خدمة الزبائن في كي الملابس أو تنظيف المحل، لم يحدث أن تساءل. أحدنا، ولكن لماذا؟ ولا عندما عرف أبي أو أمي فاستنكر ذلك، وإنما كانت والدتي تراه أخوة ومحبة وسلوكًا أخلاقيًا سليمًا، وكانت أمي أيضًا تزور زوجات اليهود والمسيحيين وكن يزرنها أيضًا، وكنت أرافق أمي إلى المستشفيات تحمل الورد والفواكه إلى طفل مريض أو إلى أمه أو إلى أبيه، والطفل زميلي في المدرسة، وفي إحدى المرات

طلبت أمي أن أرتدى ملابس نظيفة قاتمة وأن أقوم بمسح حذائي ونصحتني أن أجلس في صمت مهما رأيت، وألا أتكلم وكان لابد أن أذهب إلى الكنيسة فقد توفي والد أحد الأصدقاء. ذهبت وجلست في الصف الأخير ووجهي في الأرض، وسمعت ولم أكن أعرف، ولم أفهم.

وحتى تلك اللحظة لم أعرف معنى أن يكون الإنسان مسيحيًا أو يهوديًا وما الفرق، ولا معنى أن تقبلني أم مسيحية أو أم يهودية، ولا أن أجدها في بيتنا أو أن أذهب مع أمي إلى بيت جرجس وبيت كوهين.

حتى جاء أحد أقاربي ووجدني ألعب في الشارع، واستوقفني وسألني عن أبي وأمي، ثم عاد يسألني أنا سمعتك تقول جرجس وكوهين.

قلت: نعم.

قال (مستنكرًا): ألا تعرف أن هذا قبطي وذاك يهودي، كيف تلعب معهما؟ وهل أمك تعرف؟ قلت إن أميهما صديقتان لأمي، فعاد مستنكرا: ووالدك يعرف؟ قلت: وهو أيضًا يزورهم؟

وسألتني أمي واستنكرت تساؤلات قريبنا وبدأت أفكر ثم عرفت فيما بعد، وظلا أعز الأصدقاء!

بعيد بعيد وحدينا مع هذه العجوز؟!

بعد هزيمتنا في 67 أقمت معرضًا للكتب عن الصهيونية واليهودية والقضية الفلسطينية وتنقلت به بين العواصم المصرية والعربية وكان اسم المعرض (اعرف عدوك).

والمعنى: أننا لم نعرف عدونا بدرجة كافية، فكانت هزيمتنا هي الثمن، وفي هذه الحرب نال كل منا ما يستحقه، هم عرفوا فانتصروا، ونحن لم نعرف فانهزمنا، إذن لابد أن نعرف لأن الحرب لم تنته والثأر لم يتحقق.

وفي يوم الافتتاح أقمت ندوة أو حفلة تحولت إلى ندوة، وقدمت المعرض وما به من كتب، ورويت حكايات المضحك فيها يبعث على الأسى، فقلت إن زميلاً صحافيًا وقع في الأسر، وعاد ماشيًا على قدميه من العريش إلى بور سعيد، ولما عاد سألناه فقال: والله أمة محمد بخير.

واستوضحناه فقال: طوال الطريق وجدت أناسا يقولون يا مصري تعال اشرب شاي. يامصري باسم الله، تعال كل معنا، يامصري.

وسألناه: من هؤلاء؟

فقال: لابد أنهم مسلمون لا أعرف من أين جاءوا، أكثرهم أبيض اللون أزرق العينين.

ولم يعرف أن هؤلاء من اليهود، وأنهم لم يترفقوا به وإنما كانوا يسخرون منه، وكان حزنه عظيمًا عندما اكتشف الحقيقة، ولكن الذي اكتشفناه أخطر كثيرًا من الذي عرفه، فهو لا يعرف اليهود، ولا يعرف أنهم من شعوب كثيرة، ولكن الصورة التي كانت لديه عنهم: هي أنهم قصار القامة طوال الأنف وفي أصواتهم خنافة وبس!

وكدت أفرغ من كلمتي عندما نهض أحد السادة المستمعين وقال كيف يسمحون لهذه العجوز أن تقول: بعيد بعيد وحدينا، بعيد بعيد أنا وأنت. إيه قلة الأدب دي، يا أخي غير معقول من واحدة شمطاء تقول مثل هذا الكلام الذي تذيعونه ليلاً ونهارًا، أريد أن أعرف ما المعنى وما المقصود، وأحمد الله أن السفير المصري يوجد هنا، ونائب رئيس الجمهورية السيد حسين الشافعي، أريد ردًّا!

هو يقصد أم كلثوم التي لم يفلح صوتها الجميل في أن ينسيه طولها وعرضها وتاريخ ميلادها وخلود الشعر والغناء والموسيقى.

ونظرت إلى نائب الرئيس وإلى السفير وقلت: آسف والله أنا لم أتصور أن من أهداف هذا المعرض أن نجعل أم كلثوم عدوًّا للعروبة والإسلام ثم أجيء هنا لأكشف حقيقتها التي خفيت على الناس في ليبيا!

الذي خرج ولم يعد!

رأي كبير آلهة الإغريق (زيوس) أن الإنسان وحيد، فقرر أن تكون له زوجة، وطلب من بقية الآلهة أن يمنحها كل واحد منهم صفة، وهذه الصفة هي الهدية وتم ذلك، ثم سألهم: ماذا تسميها؟ فقال أحدهم: نسميها باندورا، أي التي عندها كل الصفات، كل الهيئات، كل المواهب.

وكانت باندورا هي حواء الأساطير الإغريقية، ولها صفات أخرى غير صفات الرجل: هو قوي وهي ضعيفة، هو غبي وهي ذكية، هو صبور وهي قلقة، هو يريد أن يعمل وهي تريد أن تبقى في البيت.

ورأي كبير الآلهة أن يحبس كل شرور البشر في صندوق، وأن يبعث لها بالصندوق، وتركه عندها أيامًا، وأوصاها ألا تفتحه ثم حذرها، وإلا كان خطرًا عليها وعلى زوجها، وسافر الزوج، وراحت باندورا تتأمل الصندوق الجميل، ووجدت نفسها وحدها مع الصندوق وحده، وفي يوم رفعت الصندوق إلى عينيها ثم على أذنيها فقد سمعت صوت استغاثة داخله وأدنت أذنيها، وتأكدت أنها كائنات حية تطلب الإفراج عنها.

ثم فتحت الصندوق فخرجت أشكال وألوان غريبة من الكائنات وكلها تلسعها وتنهشها وتوجعها في كل مكان، ثم طارت إلى زوجها وأوجعته في كل مكان.

وفي يوم جلست باندورا تتوجع وتنظر إلى الصندوق الذي كان مصدرًا لكل هذه الويلات فسمعت صوتًا نحيلاً أو كما قال طه حسين: صوت نحيل أبيض يستغيث ويقول: أنا مختلف، أنا لا أجرح ولا أوجع، أنقذيني، لكي أنقذك.. أنا وحدي القادر على ذلك.

وترددت ثم فتحت الصندوق وخرج كائن رقيق جميل يطير حولها ويلمسها بجناحيه في كل مواجعها وإذا بها قد شفيت تمامًا وكذلك زوجها، أما هذا الكائن الجميل فهو الأمل!

الأمل في أن المريض يجد الشفاء وأن المحزون يجد السرور والمأزوم يجد الحل.

ولكن باندورا في زماننا فتحت كل الصناديق ولم يخرج هذا الأمل، وبقيت الشرور كما هي بدون أن يكون هناك أي أمل في الشفاء منها، حتى الأمل يا باندورا قد ارتدى ثياب اليأس والهوان، فكأن الأمل قد خرج مرة واحدة ولم يعد!

لا أحبه وإنما أعشقه؟

سألت الفنان الكبير يحيى الفخراني كيف نطقت الممثلة المغربية كلمة هي بذيئة في بلادها مرتين وثلاثا، أما الكلمة فهي (الحاوي)، فهم في المغرب لا ينطقونها، وحدث أن كنت في مدينة مكناس، عندما قابلتني مذيعة ومعها ميكروفون وسألتني عن الذي رأيت وعن الانطباع عن هذه المدينة المغربية الصميمة، وحدثتها عن الذي رأيته في الأسواق والقصور، وقلت إنني وقفت طويلاً مع الناس نتفرج على الحاوي، ولما نطقت هذه الكلمة امتقع لونها، وكان الحديث مباشرًا على الهواء، وعرفت في ما بعد المحظور الذي وقعت فيه!

وعرفت من يحيى الفخراني أن الممثلة المغربية تعمدت أن تجامل يحيى الفخراني وأن تجعل أهلها وناسها يضحكون على هذا المطب!

وهذا ما حدث.

وفي يوم ونحن في واشنطن مع الرئيس السادات، جاءت المذيعة المشهورة بربارة والترز ولقيت الرئيس السادات، وطبيعي أن تتحدث عن السلام ومدى سعادته، وعن عمق الصداقة التي بين الرئيس كارتر والسادات، فكلاهما رجل متدين، وكلاهما يضع الكتاب المقدس فوق دماغه أو أمام عينيه، وأن السلام هو نتيجة إيمان اثنين من الأتقياء.

وقال لها السادات إنه ينادي الرئيس جيمي كارتر باسمه الصغير وأنه ينادي رئيس وزراء إسرائيل بقوله يامناخم - بالخاء كالخواجات الذين لايعرفون أن ينطقوه بالحاء - وأن بيجين يقول له: يا أنور.

ووقفنا حول الرئيس نستمع إلى الحوار عندما سألته بربارة والترز في كلمتين، ياسيادة الرئيس صف شعورك عن الرئيس كارتر.

فقال: أحبه I Love Him.

وفزعنا، فهذه عبارة لا تقال وإنما يقال: أعجب به، أحترمه، أقدره أعظم تقدير، أطمئن إليه، أصدقه.

ونظرنا إلى بربارة ولكنها مضت في حديثها، ثم عادت فسألته مرة أخرى في نهاية الحديث، مستدرجة الرئيس على أن يردد نفس العبارة. فقالت: سيادة الرئيس أريد منك أن تؤكد لي طبيعة شعورك عن الرئيس كارتر فقال السادات: أحبه I Love him.

كأنه قال: بل أعشقه؟

وحاولنا عبثًا مع بربارة أن تحذف هذه العبارة فهزت رأسها: لا، وحاولنا وتكاثرنا عليها، فكان ردها النهائي: من الممكن أن ينسى الناس كل هذا الحديث، ولكن لن ينسوا أن الرئيس المصري يحب الرئيس الأميركي، على طريقته!

حمدًا لله على سلامة القمر!

لأن السفير المصري في جاكارتا أعطاني رسالة إلى الناس الطيبين في جزيرة بالي، وقال فيها إنني طالب في الأزهر الشريف – لا قال إنني صحافي أو أديب – وفي تلك الليلة جاءني وفد للترحيب بي وخاصة أن معظمهم قد تخرج في الأزهر، وله مطلب واحد، أن أخطب الجمعة، وقد اعتدت سنوات على ذلك عندما كنت طالبًا والمشرف على مكتبة «الإخوان المسلمين» في مدينة إمبابة، وبدأت أفكر في الذي سوف أقول. الموضوع: سهل، فالبداية والنهاية كلتاهما تقليدية، ثم أختار آية من القرآن الكريم وحديثًا نبويًّا أو أكثر، والباقي لا صعوبة فيه.

وصعدت منبر مسجد مدينة دنبا سر عاصمة جزيرة بالي، وهي الجزيرة البوذية الوحيدة في الألفي جزيرة الإندونيسية، والمسلمون فيها من الحضارمة الذين نشروا الإسلام في قارة آسيا، وعندما هممت بأن أدخل في صميم الخطبة وجدت أحد المصلين قد وقف وأشار بيده ناحيتي وقال كلامًا لم أتبينه، فتوقفت أستوضح هذا السلوك الغريب، وحاولت، وحتى سلوكي هذا غير تقليدي، ولم أفلح في

أن أعرف، فقد أجلسوه، وأكملت خطبتي في اضطراب واضح، وبعد الصلاة اقتربت من الرجل سألته. قلت له. خيرًا يا سيدي.

وحاولوا منعه من الكلام، ولكني أريد أن أعرف، وعرفت وحاولت أن أفهم، والذي فهمته قليل وهو أن الروس أرسلوا سفينة إلى القمر وأن هذه السفينة قد هبطت فوق القمر، وأنه يخشى أن يؤدي سقوط السفينة إلى انكسار القمر الذي هو (طبق) هش صنعه الله لكي يضيء للمسلمين!

وتلفت على الوجوه الطيبة حولي، فلم أجد استنكارًا من أحد، أو اعتراضًا على مثل هذا التساؤل، وليس من المعقول أن أصحح كل هذه المفهومات الساذجة، فأقول إن القمر كرة مثل الكرة الأرضية، وإن الروس مهما ألقوا من الطوب والحجارة فوق القمر فلن يصيبه شيء، تمامًا كما لو سقط هذا الشيء على كوكب الأرض، وأعدت النظر إلى الوجوه فلم أجد ما كنت أتمنى، وحسمت المشكلة عندما قلت له: لقد علمت من سفيرنا في جاكارتا أن الشيء الذي أسقطه الروس كان من المطاط، فلم يحدث أي أثر في القمر.

وانفرجت الأسارير، هم وأنا أيضًا، وعدت إلى بيتي أحزم أمتعتي، شاكرًا الله سبحانه وتعالى على سلامتي وسلامة القمر!

كتبنا المقدسة في جزيرة مندناو

مرة أخرى وجدتني في حيرة وكان السكوت هو الجواب، كنت قد ذهبت إلى رئيس الفلبين ماركوس أشكو إليه من الاضطهاد الذي يلقاه المسلمون في جزيرة مندناو، فظهر عليه الضيق قائلاً: أنت تشكو، أنا سوف أشكو إليك الأسلحة التي يبعث بها الرئيس القذافي إلى بلادنا، لقد قلبت الوضع يا سيدي، ومع ذلك فأنا أدعوك اليوم أو غدًا أن تذهب إلى جزيرة مندناو لترى بنفسك، ومن الممكن إذا شئت أن يرافقك السناتور الونتو ممثل المسلمين في البرلمان.

وذهبت إلى جزيرة مندناو، وكان الطريق شاقًا، فالطائرة صغيرة والعواصف تهب مرتبكة من أرض وسماء سبعة آلاف جزيرة، وكانت الديوك في الأقفاص التي عملها الركاب تقذف بمخلفاتها علينا.

ووقفت الطائرة ونزلت الأقفاص وأصحاب الديوك، ولم أجد أحدًا في انتظاري وأخرجت ورقة من جيبي وقدمتها لسائق التاكسي الذي لم يرد، ولم يقرأ الورقة وإنما مضى، وحاولت أسأله إن كان يعرف من أنا أو أين أذهب لم يرد، ومضى، وتوقف فجأة أمام أحد الفنادق وعرفت أن هذا السائق كان في انتظاري فقد كنت الأجنبي الوحيد في الطائرة وجلست على مقعد أتطلع إلى المحيط الهادي والمراكب

الصغيرة والأجسام الرشيقة والوجوه الصفراء المرهقة، وفجأة جاء الجرسون الذي يعرف القليل من الإنجليزية وأخرج من جيبه ورقة وقرأ ورحب بي، وسألني إن كنت سعوديًا جاء لزيارة المساجد فقلت: لزيارة المساجد نعم، ولكني مصري، فأعاد السؤال: يعني سعودي؟ فقلت: نعم.

فالرجل لا يعرف إلا القليل عن العالم الإسلامي، واختفى الرجل دقائق ليظهر شخص آخر ارتدى طاقية بيضاء وهي دليل على أنه مسلم أو أنه من رجال الدين، وقال بلغة عربية: إلى المسجد؟ واتجهت إلى دولاب على يسار المنبر، ورأيت على الدولاب هذه العبارة باللغة الإنجليزية (كتب مقدسة وممنوع لمسها)، كتب مقدسة؟ ليس عندنا إلا كتاب واحد هو القرآن الكريم، واقتربت من الواجهة الزجاجية لأقرأ أسماء الكتب، ليس من بينها القرآن، وإنما هي كتب في التاريخ الإسلامي وفي التفسير وكتاب (كليلة ودمنة).

هل أقول له؟ وبأية لغة؟ وإذا كان الرجل لا يعرف القراءة ولا يجرؤ على فتح الدولاب فلن يغير من حاله أن يعرف، وسافرت إلى اليابان دون أن ألتقي الرئيس ماركوس أجيبه عن سؤاله: وكيف حال المسلمين في بلادنا!

أن تلعب صغيرًا: هذا أسلم

الحيوان يلعب والإنسان أيضًا.

واللعب نشاط طبيعي، أو صرف لفائض الطاقة عند الإنسان، وفي اللعب عمل إيجابي وفيه أيضًا خيال، وفيه تعبير صامت. وأحيانًا نجد الطفل يتحدث إلى اللعبة، ويلفت نظر أبويه، ويشتركون معه، فاللعب نشاط اجتماعي أيضًا.

واختلفت الألعاب عن أيام زمان، ونحن صغار كان الواحد منا يركب عصا متوهمًا أنها حصان، وكان أهلنا يهنئون أنفسهم بأننا سوف نصبح فرسانًا، أما اليوم فيكفي أن ندخل محلات اللعب لنرى الثراء والنبوغ الذي يعيشه طفل اليوم، وهذا إذا لم يكتف بألعاب الكومبيوتر والموبايل والبلاي استيشن.

وكان للزعيم النازي هتلر نظرية وهي: القوة عن طريق المرح، أي عن طريق الألعاب الرياضية والفروسية.

وكان هتلر يسمي ذلك لعبًا، والحقيقة أنها تدريبات عسكرية أو تدريبات على البطولات العسكرية من خلال الاستعراضات والألعاب؛ فاللعب غريزة ولكن اللعب العنيف هو تطوير لذلك!

وأهل اليابان يقولون إنهم تأخروا في اللعب، فتقاليدهم تحتم عليهم أن يكونوا رجالاً في سن صغيرة، وشكوى اليابانيين: أنهم دخلوا مرحلة الرجولة قبل أن يشبعوا من الطفولة، ولذلك فمن المألوف أن نجد الرجل الياباني إذا تحدث تعمد أن يكون صوته غليظًا، بينما صوت المرأة اليابانية ناعم حريري لا يمس أذنًا – وهذه هي أهم معالم الأنوثة؟!

ولكن اليابانيين هم أبرع من قدم لعب الأطفال؛ فأطفال العالم يلعبون.. يلعبون على الطريقة اليابانية، بينما أطفال اليابان لا يلعبون.. لقد أرغمتهم التقاليد على أن ينسوا أنهم أطفال، أو عيب أن يكونوا أطفالاً، فالتقاليد اليابانية كانت كالتقاليد الرومانية والتقاليد النازية: الرجولة المبكرة، والروح العسكرية، أما اللعب واللهو، فقد جاء في مرحلة متأخرة، أي أن الرجل الياباني الذي أرغموه على الرجولة، يستأنف اللعب واللهو والخمر والإدمان.

وفي كل مرة أسافر إلى اليابان أسمع شكوى واحدة: غلطنا عندما فرضنا على أنفسنا الرجولة المبكرة، ولذلك نحن حريصون على أن يلعب أطفالنا وأن يعيشوا سنهم والقاعدة: من لا يلعب صغيرًا لابد أن يلعب كبيرًا.. ولعب الكبار أخطر كثيرًا!

وآفة هذا الزمن: الصحف!

أمير الشعراء أحمد شوقي، يوم افتتاح نقابة الصحافيين في مصر، قال:

لكل زمان مضى (آية) وآية هذا الزمان الصحف

لسان البلاد ونبض العبا د وكهف الحقيقة صوت الجيف

ثم التفت إلى الصحافيين الشبان، وقال لهم:

فيا فتية الصحف صبرًا إذا نبا الرزق فيها بكم واختلف

فإن السعادة غير الظهور وغير الثراء وغير الترف

ولو عاش شوقي لجعل «الإنترنت» آية هذا الزمان، ولقد لمس مشكلة الصحافيين في زمانه وزماننا، والذين يتقاضون أجورًا هزيلة: فهم الفقراء المشاهير. واستأذن أمير الشعراء في وضع كلمة أخرى بدلاً من «آية» هذا الزمان، فأقول: وآفة هذا الزمان الصحف. ولن ينكسر البيت. ويكفي أن تقرأ الصحف الأمريكية ومجلاتها الصفراء ثم الصحف في مصر أيضًا، أما كلمة «الجيف» في أبيات شوقي فمعناها الظلم.

ويوم احتفل أمير الشعراء شوقي بالكاتب الكبير فؤاد صروف (1852–1927) عندما رأس تحرير مجلة «المقتطف»، قال:

رأى الله أن تلقى إليك صحيفة   نزَّهتها عن هوشة وكذاب

ولم تتخذها آلة الحقد والهوى   ولا منتدَى لغوٍ وسوق سباب

تبتلت للعلم الشريف كأنه   حقيقة توحيد وأنت صحابي

وتلقى شوقي أشكالاً وألوانًا من النقد والتجريح بقلم الأستاذين العقاد والمازني. فلم ير له العقاد ميزة كبرى، وكان العقاد ظالمًا. وأذكر أن شاعرًا ظريفًا اسمه محمد حمام ألقى قصيدة أمام العقاد، فسأله العقاد: «لمن هذه القصيدة يا مولانا؟»، فقال حمام: «إنها لشاعر شاب مغمور».

فأبدى العقاد سعادته وراح يشرح مواطن الجمال فيها، وكانت المفاجأة لمّا قال له حمام: «إنها لأمير الشعراء يا أستاذ!»

فغضب العقاد وطرده من مجلسه!

عبارة هادئة عن رحلة مخيفة!

قرأت يوميات رائدة الفضاء الفرنسية كلودي هينير، هذه المذكرات لا علاقة لها إطلاقًا بابتسامتها الكوكتيل من الفرحة والإصرار والقلق والخوف والتحدي، إن يومياتها مرهقة للأعصاب رغم أنها تحكيها بمنتهى الهدوء، فهي تخرج من تجربة لتدخل في تجربة أخرى، مائة تجربة، ساعات متصلة من الضبط والربط بين الأجهزة والخرائط والمعادلات الرياضية، ومئات الزراير. تقول كلودي: الكتب غير التجربة، والتجربة على الأرض غير التجربة في الجو، بعيدًا عن الأرض ذهابًا واستقرارًا ودورانًا وهبوطًا، وأصعب من الهبوط الاستعداد لذلك، وأصعب من الهبوط الإلكتروني، الهبوط اليدوي عندما تتعطل الأجهزة لأي سبب، وأصعب من الهبوط ومن كل ذلك أن تكون هي قائد الرحلة والمسئولة وحدها عن النجاح والفشل.

لقد كان الاستعداد لرحلتها في الفضاء أن تنطلق من روسيا، وقد استعدت لهذه الرحلة في تدريبات في فرنسا وفي ألمانيا وفي هولندا ثم في أمريكا، وهناك نظريات وتقاليد مختلفة، ولكن الأسس العلمية واحدة.. ثم يجيء الأطباء كل شهرين لتحليل ومراجعة كل شيء في وظائف الجسم الإنساني والعقلي، ويقتضي الأمر تغيير الطعام

والشراب وساعات النوم، وفي نفس الوقت يجب أن تكون في حالة نفسية جيدة.

وفي اليوم السابق على الانطلاق إلى الفضاء يجلس الرواد معًا لمشاهدة فيلم رومانسي هادئ حالم، لا علاقة له إطلاقًا بسفن الفضاء والفضاء، ويتعلمون التركيز، لدرجة أن رائد الفضاء ممكن أن يستغرقه الفيلم حتى لا يدري بشيء آخر، وفي سفن الفضاء يجب أن يستغرقه العمل حتى ينبهوه بأن يتناول طعامه أو شرابه أو يأوي إلى الفراش.

أما قبل إطلاق السفينة فكل الرواد يحشرون أنفسهم في مقاعدهم، ويتدربون على خلع ملابسهم وارتدائها في حيز ضيق بدون المساس بالأجهزة الدقيقة في كل مكان، وهم عادة يدخلون السفينة التي استقرت فوق صاروخ مليء بالوقود وأن يظلوا في مقاعدهم قبل الانطلاق بساعتين يستمعون إلى موسيقى هادئة، ثم الانفجار العظيم عندما تصدر الأوامر من المتابعة الأرضية بالانطلاق، أي بارتفاع الصاروخ وفوقه سفينة الفضاء إلى أعلى فرارًا من الجاذبية الأرضية، ثم الدوران حول الأرض.

إنها براعة عظيمة أن تروي رائدة الفضاء قصتها بهدوء مع أن الذي تتحدث عنه يجعل شعر الرأس يقف ويقع من شدة الخوف!

وما تزال الأطباق تطير!

سألني منظم برنامج علماء الأطباق الطائرة: تحب؟

قلت: أحب أن أشارك بالفرجة والرؤية والكتابة.

وانعقد مؤتمر علماء الأطباق الطائرة في جنوب فرنسا، ولم أتمكن من المشاركة لأسباب عائلية طارئة، ولكن تلقيت كل الأبحاث والشكوك والردود، فقد التقى أربعون من الباحثين عن حقيقة الأطباق الطائرة التي رآها أكثر من ألفي شخص في القارات الخمس: من المهندسين والأطباء والطيارين والباحثين في الفلك، وعندهم صور، وضعف هذا العدد في أمريكا وحدها، بل إن الذين بحثوا في التاريخ القديم يقولون إن هيردوت عندما جاء إلى مصر رأى كرات من النار، أو كأنها النار في مدينة منف، سجلها ولم يجد لها تفسيرًا، كما فعلنا نحن بعد ذلك بخمسة وعشرين قرنًا: رأينا وصوَّرنا وسجلنا وما زلنا نبحث لها عن تفسير، وعلماء الفلك ينكرون هذه الظاهرة، أو يتحفظون حتى عندما أعلن بعض رواد الفضاء أنهم رأوا كرات من النور تلاحق سفنهم من أمام ومن خلف وعن يمين وشمال، بل وعندما تسللت هذه الكرات إلى داخل سفن الفضاء فارتبكت العقول الإلكترونية، وعندما عادوا إلى الأرض أقسموا على الصمت حتى لايصيبوا الناس بالبلبلة!

ولكن حدث أن انتشرت شائعات في أمريكا بأن عددًا من الكائنات الفضائية قابلوا أيزنهاور، وكان ما بينهم من كلام وأسرار. وقد وعد الرئيس كارتر الشعب الأمريكي إذا نجح في الانتخابات أن يطلعهم على الحقيقة، ونجح ولزم الصمت، وأعاد الرئيس كلينتون هذا الوعد إذا نجح، ونجح مرتين، ولم يقل كلمة واحدة!

قالت لي الزميلة الإيطالية دانشيانا دانجيلو التي قدمت نيابة عني كتابين لي هما «الذين هبطوا من السماء» و«الذين عادوا إلى السماء»، ومعهما اعتذاري عن تلبية الدعوة. قالت لي: إن أحد الحاضرين تساءل عن صحة ماجاء على لسان أحد رواد الفضاء الأمريكيين عندما زار المتحف المصري، ورأى نموذجًا لطائر فقال: ليس طائرًا وإنما هي طائرة شراعية. وقال إنه يصدق تمامًا أنها طائرة شراعية، وأن لديه أسبابًا قوية لذلك، وسوف يعلن عنها بعد زيارة المتحف المصري في الكريسماس القادم.

أما رأيي في الرسالة التي بعثت بها فهي أنني لا أستبعد أن تكون الأطباق الطائرة أجهزة دقيقة من نوع لا نعرفه، ومن مكان لا نعرفه ولأسباب لم نعرفها بعد، وليست خرافات كما قال كثير من العلماء المتشككين، أما أسباب الشك فهي أنه لاتوجد لدينا أية معلومات عن كواكب تعيش فيها كائنات عاقلة، ولو كانت فهي تبعد عنا مئات السنين ولا يوجد سبب معقول لأن تسافر الأطباق هذه المسافة الطويلة لتبقى لحظات ثم تعود. لماذا جاءت؟ وماذا وجدت ولماذا عادت؟، وألف لماذا أخرى!

لأنهم متعلمون فقراء!

من هنا كانت البداية – من ولاية كيرالا في أقصى الجنوب من الهند، فهذه الولاية الصغيرة هي أعجوبة تاريخية، فليس فيها أميون، وهي فقيرة، وأهلها ساخطون على حالهم، ولذلك هاجروا إلى كل دول الخليج، والذين قرروا البقاء اتجهوا إلى اليسار إلى الشيوعية، ففي سنة 1957 كانت أول حكومة شيوعية أفرزتها الديمقراطية الهندية، وكان من حظي أن قابلت أول رئيس للوزراء سنة 1959، السيد نامبودريباد، وكتبت وكتبت، وفي ذلك الوقت طردت الصين الدلاي لاما وأسكنته الهملايا، وكان لابد أن أذهب إليه، وذهبت، ووجدت الصحف الهندية تهاجمني بسبب ما كتبته عن شوارعها، ففزعت وتخيلت لو أن كل هندي أمسك حجرًا وألقاه فوق دماغي لقام هرم من 700 مليون حجر – بعدد سكان الهند.

فقررت أن أذهب إلى جزيرة سيلان أكتب عن العشرين عامًا التي أمضاها عرابي باشا والزعماء المصريون، ووجدتني بالقرب من إندونيسيا ومن أستراليا ومن الفلبين ومن هونج كونج ومن اليابان ومن هاواي ثم من أمريكا – فكانت رحلتي حول العالم في 228 يومًا!

وخطر لي أخيرًا أن أعود إلى حيث بدأت، فأرى ولاية كيرالا التي

مساحتها حوالي أربعين ألف كيلو متر وعدد سكانها حوالي ثلاثين مليونًا وتتكلم لغة اسمها (مالا يالم)، وترقص كاثاكالي وشاركت في أول مظاهرة شعبية تطالب بمزيد من الحرية، وكانت مياه السيول تصل إلى ما دون الركبة وكانت تجري بيننا الثعابين في حالة فزع فقد أخرجتها المياه من الجحور.

ووسط الزحام والثعابين والمياه في لون البن وجدت إلى جواري صحفية هندية تقول: والآن ما رأيك في المرأة الهندية؟!

والسؤال يدل على أن الظروف عادية وأن شيئًا لم يحدث لنا، لا مياه ولا أعاصير ولا ثعابين ولا مظاهرات. قلت لها: ولكن ما معنى هذه المظاهرات، إنها أكثر من نوع، هنود ومسلمون شيعة، وأناس معترضون على كل ذلك!

وكان ذلك كافيًا لأن تتركني وتمضي في سبيل آخر.

سألوني: ما الذي تريد أن تراه في كيرالا؟ قلت: كل ما رأيت قبل ذلك منذ أكثر من أربعين عامًا، فيومها كنت أراها بعين واليوم سوف أراها بعينين وتجارب طويلة في السفر في القارات الخمس.

وسألت عن مكتبة في العاصمة ترفندروم والآن اسمها: ثيروفنا نثابورام. قالوا: ماتت صاحبتها وتديرها الآن حفيدتها ويدهشك اسمها. فقلت: وما اسمها. قالوا أنيسا منصورة.

قلت: هذه تهمة، ولكن سوف أرى وكلها مادة لكتابة جديدة!

أساتذتنا: حيوانات وحشرات!

هذا علم جديد.. اسمه: بيوممتكس.. لا أعرف كيف نترجمه، فمقطع بيو يعني الحياة.. البيولوجيا.. والبيوجنيك.. والبيوكمستري – علم الكيمياء العضوية.. ولكن معنى العلم الجديد هو أن نستفيد من ملاحظتنا للحيوانات.. ونحاول أن نفهم وظائفها وأعضاءها وأن نقلدها.. أو ننقلها إلى حياة الإنسان.. فمن أذن الوطواط وشوارب الفأر والخلايا الضوئية والخلايا الصوتية عند الثعابين.. ومن لسان الثعبان نفسه، فالثعبان ليست له أذنان، ولكن لسانه مثل هوائيات الراديو والتلفزيون تنقل إليه الموجات الصوتية.. وكذلك أشعة الرادار عند الخفاش وقرون الاستشعار في جسم الفأر..

فالعلم الجديد «يقلد» أو ينقل أو يوظف هذه الخصائص لخدمة الإنسان..

وأهم ما شغل هذا العلم الجديد: وادي النمل.. أو بيوت النمل.. والذي بهر العلماء: كيف يستطيع النمل أن يصلح بيوته. وما أصابه بسرعة.. والنمل ليس كالنحل.. فالنحل له ملكة، ولكن مملكة النمل ليست لها ملكة ولا زعيم.. فكيف يستطيع كل النمل أن يتخذ قرارًا واحدًا؟ كيف يعرف بيته؟ وكيف يبنيه فورا؟ كيف يمكن الاستفادة

منه في النقل والمواصلات والطيران أيضًا؟

وكذلك الدبور.. والإسكويرل.

هل يمكن أن نسميه علم المحاكاة..

هل سوف نبقى نقول: إنه أوهى من خيوط العنكبوت. إن العنكبوت يفرز هذه الخيوط الرفيعة التي يتصيد فيها ضحاياه. وإن علماء الكيمياء يؤكدون أن خيوط العنكبوت إذا عولجت بشكل من الأشكال، لا تستطيع القنابل أن تمزقها..

إن الإنسان قد انشغل بنفسه كثيرًا، ولا يزال يرى أنه وحده مركز الكون، مع أن الإنسان قد تخلى عن هذا الوصف الخرافي من القرن السادس عشر، ومنذ عباقرة الفلك الذين زعزعوا كوكب الأرض عن أن يكون مركز الكون، وأن يكون الإنسان سيد الكون.. إن علماء البيوميكا يدعوننا أن نتجه إلى الحيوان..

قل لي من فضلك: ما المعنى؟

لا أراك الله مكروهًا في عزيز لديك.. وقد أراني الله مكروهًا في عزيز.. وأوجعني فراقه.. وقد رأيت مكروهًا في اللحظات الأخيرة لعدد من الأعزاء: العقاد وطه حسين والحكيم وإحسان عبد القدوس والرئيس السادات وعبد الوهاب وأم كلثوم.. وما لا يوصف ولا ينسى عندما ماتت أمي.. ما هذا؟

ومشينا إلى جوار توفيق الحكيم في جنازة ابنه الوحيد الفنان إسماعيل الحكيم.. ومشينا في جنازة كامل الشناوي.. ياربي ما هذا العذاب.. ما طوله؟ ما عرضه؟ ما عمقه؟ ما عمره؟ ماهذا الذي نحن فيه وإليه ومنه؟ إن شيئًا غريبًا يتسرب من هذا الكون.. إن الكون يصفي نفسه.. إنه ينساب بعيدًا عنا.. يتسلل منا بعيدًا عنا.. كانسياب حوض ماء.. والحوض له فتحات يتدفق منها الماء.. الكون يهرب.. يتهرب.. يهددنا نحن أيضًا.. إن كل من مات أخذ منا.. اقتطعنا.. سلبنا.. هددنا .. كنا امتدادًا صرنا جزرًا معزولة بالموت.. بالأسى.. بالحزن. إلى أين يذهب الأعزاء؟ لقد داعبنا توفيق الحكيم وهو على فراش الموت فقال: لا تتأخروا.. أسرعوا سوف تجدوننا في انتظاركم في جهنم مع العقاد وطه حسين.. يا أنيس لا تتأخر.. هناك أحسن من

هنا.. قل لأصدقائنا أيضًا. وكانت في توفيق الحكيم بقايا قوة، ولذلك كان يضحك وهو يقول.

هل هذا هو الذي يقول؟ هل هو الذي يضحك؟ أهو الموت يقول ويسخر منا ومن الأحياء ومن الحياة؟

هل الذين لا أصدقاء ولا أعزاء لهم، أحسن حالاً.. هل الذي لا أحب ولا كره، ولا خاف ولا أمن، أحسن حالاً؟ هل الحب جريمة عقوبتها مؤجلة، وسدادها عندما نكون على فراش الموت.. موتنا أو موت أعز الناس علينا؟

لقد وقفت طويلاً وكثيرًا بالقرب من فراش أعز الناس.. فلا وجدت معنى ولا أحدًا أسأله.. ولا أحد يجيب، ونسيت منذ أيام في حزني العميق والجنازة الطويلة التي لم تنقطع أن أبكي على الفقيد الغالي على عمره وعمري.

ولم أبك. لقد جفت الدموع ولم يبق إلا أن أخرج عيني في يدي ثمنًا لمن يقول لي: وما المعنى؟!

فلما رأى المريخ غلبه النوم!

رأيت كوكب المريخ كثيرًا، وكدت ألمسه بيدي، فقد تطلعت إليه من مراصد كثيرة. أما التلسكوب المتواضع الذي عندي، فكان يزيدني شوقًا إليه. ولكن لا أعرف ما الذي يجعلني أتعلق به هكذا. ربما لونه، ربما قربه، ربما ما أشعلنا فيه من خيالات حقيقية وخرافية. إنه يبعد عن الأرض 225 مليون كيلومترًا. ولا يزال هدفًا وأملاً أن يهبط عليه الإنسان، وأن يعيش سنوات فوق سطح الأرض أو تحتها، أو في سفينة فضاء تدور حوله، وليس قريبًا منا كالقمر، فالرحلة إليه ذهابًا وإيابًا تبلغ سنتين، وكلها مشاكل وأسرار وألغاز. أما سفن الفضاء فذهبت ودارت وهبطت وبحثت وحللت التربة وأرسلت صورًا وجداول. وعرفنا ما لم نكن نعرف، ولكن لا تزال هناك أسرار كثيرة، أهمها: الماء. وعرفنا أن هناك بقايا جداول مائية. الماء جف. أو تجمد تحت التربة. ولكن آثاره باقية، وكل ما نتمنى أن نعرفه الآن هو إن كانت هناك حياة.. أي شكل من أشكال الحياة. لأن هذه الحياة هي التي انتقلت إلى كوكب الأرض في داخل النيازك والشهب واستأنفت الحياة عندنا وتعددت وانتعشت حيوانًا ونباتًا..

ونعرف أنه يوجد أيضًا في القطب الشمالي جبال جليدية. هذه الجبال من الممكن أن تراها المراصد الفلكية بسهولة.

وقد أعلنت المراصد أن المريخ قد اقترب منا لأول مرة منذ 56 ألف سنة. وكان من الممكن رؤيته بأي تلسكوب متواضع. وحاولت بتلسكوبي المتواضع، ولكن السحب والتراب والرطوبة وأضواء المدينة حرمتني من هذه الفرصة السعيدة، وبعد 13 سنة سوف يقترب المريخ مرة أخرى ليكون على مدى سبعين مليون كيلومتر من الأرض.

قال العراف محمد شوقي أبو المكارم إن اقتراب المريخ من الأرض سوف يؤدي إلى مزيد من الصراعات والحروب، لأن المريخ هو إله الحرب.. وذهبت أستطلع رأي العرافين وقرأت ما كتبه العرافون. إنهم لم يتفقوا على هذه التوقعات؛ لأنه في التنجيم لا يعتمد في معرفة الأحداث على كوكب واحد.. وإنما على حركة عدة كواكب في برج من الأبراج.. فلا يمكن أن يحدث لكل الناس نفس الشيء.. إلا إذا تلاشت الكواكب ولم يبق إلا المريخ..

قرأت ما قاله البروفسور إدمون كلاميكو عالم الفلك، فقال إنه جلس وحده يتأمل شكل المريخ لامعًا متألقًا هناك وأسعده ذلك.. واستغرق في النوم، لا في الأرق والحقد والاستعداد للقتال!

خيول ورجال وزهر القمر!

في حفاوة بالغة تقدمت مني إحدى بنات الجيشا وفي يدها طبق به لفافة فضية، يخرج منها غصن أخضر، أحمر. هدية، عادة يابانية.

ووضعت هذا الغصن في كتاب عن الطهو في اليابان، وكيف تكونين جيشا.. وهن بنات يابانيات مائة في المائة يقمن بخدمة الضيوف على الطريقة اليابانية.. فهي قصيرة نحيفة وقد وضعت البودرة البيضاء الكثيفة على وجهها وصبغت حاجبيها ورسمت عينيها بالكحل الأسود، أما شعرها الأسود فقد اتخذ شكلاً تقليديًا ملفوفا مشدودًا.. وهي ارتدت الكيمونو الضيق الذي لا نعرف كيف تتحرك فيه ولذلك كانت خطوتها قصيرة.. فهي لا تمشي وإنما هي تقفز.

وقد ارتدت المرأة الكيمونو لتخفي الاعوجاج في ساقيها. وقد اعوجت ساقاها؛ لأن أمها كانت تحملها على ظهرها منفرجة الساقين سنوات. ولما جاء الأمريكان إلى اليابان ودفعوا المرأة إلى العمل، لم تعد تحمل ابنها على ظهرها سنوات.. فاستقامت السيقان.

ولم أعرف إلا أخيرًا معنى هذا الغصن الصغير.. إنه غصن الكرز. وله حكاية في أساطير اليابان.. يقولون إن القمر يلقيه على البنات

الجميلات.. ويدحرج القمر على إحدى شماعاته نقطة فضية تتحول إلى حصان.. ونقطة فضية أخرى تتحول إلى بنت جميلة.. ثم يقول القمر لسعيد الحظ . هذه البنت الجميلة اسمها «زهرة القمر»، هي أمانة عندك فإذا بلغت العشرين من عمرها أرسلنا إليها الحصان ليتحول إلى نقطة فضية، وهي أيضًا، ثم يصعدان معًا إلى القمر.. ومرة كل سنة يقومان بزيارة الأب والأم اللذين قاما برعاية البنت الجميلة وحصانها البديع..

والمعنى: أن أجلس في ضوء القمر.. وأنتظر العروس والحصان. بشرط أن أعلن حمايتي لهما. وأن أكون صابرًا على العناية والرعاية والصبر.. على فراقهما بعد هذه العشرة الطويلة.. ولا أفكر في الزواج من هذه الجميلة. يكفي أن أراها وأتملى جمالها وأن أتجمل بالصبر على فراقها.

وإذا جلست في ضوء القمر ولم يلق القمر شعاعه ولم تظهر النقطة البيضاء، فمعنى ذلك أنني لن أعيش عشرين عامًا- ولذلك خاف الناس أن يجلسوا في ضوء القمر.. أو يجلسوا ثم يستغرقهم النوم فلا يروا العروس ولا الحصان!

لا يهم اسمها.. فهي جميلة!

بعض الجزر الجميلة أسماؤها ليست كذلك: جزيرة كابري ومعناها جزيرة الماعز.. إما لكثرة الماعز، وإما لأن الطرق الجبلية ضيقة، لا يقوى على السير فيها إلا الماعز.. وجزر كناريا ومعناها جزر الكلاب.. لكثرة الكلاب أو لقسوة الحياة فيها، عندما اكتشفت في القرن السابع عشر.. ثم جزر جالا باجونس، وهي إحدى المحميات الطبيعية، ومعناها جزر السلاحف.. لأن فيها سلاحف ضخمة نادرة. وإلى هذه الجزر جاء العالم الكبير داروين وأمضى فيها أسبوعين. هذان الأسبوعان غيّرا تاريخ الإنسانية والحيوانية. وكانت ملاحظاته العبقرية التي جاءت في كتابه الشهير «أصل الأنواع».

وجزر المالديف يقال إن معانيها: ذيبة المحل – كما قال ابن بطوطة – ويقال جزر الأسماك.

وقد رأيتها لأول مرة سنة 1959 وكان من المفروض أن أسافر إليها اليوم بدعوة من صديقي الرئيس عبد القيوم، ولأسباب خاصة لن أتمكن من السفر إليها إلا عند نهاية العام. وفي سنة 1959 ذهبت إلى جزيرة سريلانكا «سيلان» أو سرنديب، وهو اسمها القديم، لكي أعرف ماذا حدث وماذا فعل الزعماء المصريون بقيادة أحمد عرابي

باشا في عشرين عامًا في هذا المنفى، وكيف أن عرابي باشا كان يعلم اللغة العربية والقرآن الكريم، وكيف أنه جعلهم يرتدون الطربوش. وهو الذي نقل إليهم أنواعًا من الأطعمة المصرية: الكعك والبسكويت والكنافة والقطايف.. وقد أرسلت صحيفة «التايمس» إلى عرابي باشا مندوبها ليسأله: هل حرام أن تتعلم الإنجليزية؟ قال: لا .. ثم سأله. هل حرام أن يكشف طبيب مسيحي على زوجاتك؟ فقال: لا .. رجل متحرر مستنير..

ومن الضروري أن أقرر اليوم أو غدًا إلى أين سوف أسافر: إلى جزيرة الماعز أو جزيرة الكلاب؟!

أخذت الشر وراحت!

في التراث عندنا إذا انكسر كوب أو زجاجة، فإننا نقول: أخذت الشر وراحت.. أي أن هناك علاقة بين انكسار الكوب والشر، فهي إما طردت الشر، أو أن الشر كان جاهزًا لأن يأخذ منا أكثر، فاكتفى بهذا الكوب.

وعندنا مثل، إذا انكسر شيء كبير نقول: اللي ييجي في الريش بقشيش، أي الذي يصيب الريش ولا يصيب الجسم فهو: بقشيش، يعني الحمد لله؛ أنه لم يصب الجسم وإنما أصابه من الظاهر إصابة طفيفة.

وفي المطاعم اليونانية تجد أمامك كومة من الأطباق البلاستيك، هذه الأطباق جاهزة لكي يحطمها الزبائن وهم يرقصون، أو وهم جالسون، والسبب هو: إنفاق فائض المرح أو الطاقة، أو تفريج أو تفريغ التوتر، والمعنى أيضًا أن هذه الأطباق المكسرة تطرد الشيطان والشر.

وفي التراث المصري نقول: لابد أن نكسر وراءه قلة، أي نكسرها وراءه ابتهاجًا بأنه خرج، فلا يعود، أو نرجو ألا يعود!

وعند الروس، إذا شربوا فمن عاداتهم أن يحطموا الأكواب التي شربوا فيها.

وفي أفراح اليهود لابد أن يكسروا كوبًا، لابد، ويكون ذلك طردًا للأرواح الشريرة بعيدًا عن زفاف العروسين وفرحة الأهل بهذا الحادث السعيد، أو يكون السبب هو أن يتذكر اليهود دائمًا أن «هيكل سليمان» قد انهدم، وأن ذلك حادث عميق يجب ألا ينسوه، بل إن المتطرفين اليهود لا يكتفون بذلك، وإنما يكسرون جانبًا من الحائط، ويكون ذلك واضحًا حتى لا ينسوا ما أصاب الهيكل من خراب عدة مرات.

وقد رأيت في مدينة «راباللو» على شاطئ الريفيرا الإيطالي بيتًا قديمًا، والبيت بلا أبواب ولا نوافذ، ولم يكتمل فيه أي شيء، بل الهواء والماء والزمن قد حطم الجدران، هذا البيت يسمونه «بيت الأمل»، أي الأمل في بنائه وتزويده بالأبواب والنوافذ وطلائها، فهو أمل كل إنسان أن يصلح ما انكسر، وأن يبني ما انهدم.

فالإيطاليون تعمدوا ذلك لكي يكون عند الناس أمل في الذي هو أكمل وأجمل!

تمنياتي ألا تفيق من السعادة!

كنا نضحك كثيرًا ونحن صغار، لم يكن هناك سبب قوي لذلك، وإنما نحن قد دغدغنا كل شيء حولنا، حتى راح يضحك لنا.. أو يضحك منا.. ونحن نندهش عندما نرى الصغار يضحكون ونسأل ولا نجد أسبابًا قوية للضحك، إنهم يضحكون، كما كنا، لسبب ولغير سبب..

وقد أفلح الإعلامي الكبير وجدي الحكيم في أن يستضيفني مع المطربة الصديقة شادية، وكان المفروض أن يحاورنا، فترك لنا الميكرفون ساعة، هي تقول وأنا أضحك.. وأنا أضحك وهي تضحك.. وبعد أن استمعنا إلى التضاحك معًا، اندهشنا كيف أننا هكذا قادرون على الضحك والإضحاك ساعة وراء ساعة، أما الذي كنا نقوله، فكلام.. أي كلام!

ومن الغريب أن هذا التسجيل عمره أكثر من عشرين عامًا، ومع ذلك فالكثير من المستمعين يطلبونه، فقد أذاعه وجدي الحكيم أكثر من ثلاثين مرة، وفي يوم رأيت أن أستمع إليه لأعرف ما الذي فيه يعجب الناس.. فلم أجد شيئًا.

ولم أكن أعرف أننا كنا (عيال) إلى هذ الدرجة، أنا أضحك وهي تضحك.

وقالت لي شادية إنها عندما تكون في حالة من الضيق أو القرف أو الإحباط، فليس أمامها إلا هذا التسجيل لتستمع إليه وتضحك على الذي كان يضحكنا.. تمامًا كما ننظر إلى ملابسنا ونحن صغار.. ونندهش كيف كنا صغارًا إلى هذه الدرجة.. أو كيف ندخل في هذه الملابس ونرضى بشكلها ولونها.. فلم نكن نندهش لذلك ونحن صغار.. ونضحك أكثر عندما نجد أمهاتنا يحتفظن بأحذيتنا الصغيرة أو بخصلات من شعورنا أو بصورنا أو يمكن عجائب سلوكياتنا.. كنا نضحك أيضًا.

وهذا التسجيل ليس إلا صورة من أيام الشباب أي الطفولة المتأخرة.. وعندما يستمع إلينا الناس، فإنهم يشاركوننا في الدهشة لما كنا عليه.

وفي يوم استمعت أم كلثوم إلى هذا التسجيل، وكلمتني هاتفيًا وقالت لي: أنا لو كان الأمر بيدي لاتخذت هذا الشريط نموذجًا للسعادة.. فالضحك صحة والضحك الكثير منتهى الصحة والعافية، وكمية الضحك في ساعة واحدة تعادل ما سوف يضحك بعد ذلك بقية حياتك!

وقال لي الشاعر الظريف مأمون الشناوي: استمعت إلى الشريط.. تمنياتي لكما ولنفسي ألا نفيق من السعادة!

كيف تدهشنا هذه القرصنة؟

القراصنة من ساحل الصومال هاجموا سفينة أمريكية ألمانية الصنع، أطلقوا عليها القنابل اليدوية والصواريخ، أصابوا جانبًا منها، وهرب الركاب إلى المطاعم، السفينة كانت في طريقها إلى كينيا، فغيرت مسارها إلى جزر سيشل، ولم يصب أحد من ركابها المائة والخمسين، في غرفهم الأنيقة الفاخرة.

أما القراصنة فكانوا خمسة يركبون زورقًا، وقبل ذلك نجحوا في خطف سفينة للأمم المتحدة، ولم يفرجوا عن بحارتها إلا بعد أن دفعوا فدية، وقبلها سفينة تجارية، ولكن هذه السفينة الأمريكية التي زنتها عشرة آلاف طن وطولها أربعمائة قدم واسمها «سبورت اسبريت» كانت مزودة بأسلحة موجعة، فهي تطلق أصواتًا صارخة تصم الآذان، وتصيب بالشلل كل من يتعرض لها، وقد أطلقت هذه القنابل الصوتية على القراصنة فأعجزتهم عن الحركة، بل إنهم انبطحوا في زورقهم يسدون آذانهم ويصرخون من الألم، وهذه الأسلحة تستعملها أمريكا في العراق لتفريق المظاهرات، بدلاً من القنابل المسيلة للدموع، فهذه القنابل الصارخة فادحة الألم.

وفي الشهر الماضي أفلح القراصنة في الاستيلاء على سفينة تحمل معونات من الأمم المتحدة، لمساعدة ضحايا المد البحري «تسونامي» على شواطئ الصومال التي يبلغ طولها أكثر من ألف ومائتي كيلو متر، خالية تمامًا من السكان ومن قوات الأمن، ولذلك كانت مسرحًا ومرتعًا للقرصنة.

وقد اندهش الناس لوجود هذا النوع من القرصنة التي انقرضت والتي كانت تسود البحار من مئات السنين، ودهشة الناس تدل على أنهم قد نسوا أن القرصنة لا تزال موجودة في أبشع صورها: استيلاء الدول الكبرى على الدول الصغيرة وسرقة حياتها ومواردها، ثم لا تطلب فدية، لأنها عندما استولت على الأرض والناس قد تقاضت فديتها في نفس اللحظة بدون أن تفرج عن أحد، وبدون أن تترك الأرض لأصحابها والثروات لمستحقيها: أمريكا في العراق اتخذت نموذجًا دمويًا وحشيًا، ونحن نقرأ هذه الأيام اعترافات السفير البريطاني في أمريكا الذي حضر الجلسات السرية بين رئيس وزراء بريطانيا توني بلير والرئيس الأمريكي بوش.. السفير يؤكد أن بليرساير الرئيس الأمريكي ودفعه إلى هذه الحرب التي لا مبرر لها، وكان في استطاعته أن يؤجلها، أو يؤخرها، ولم يكن في استطاعته أن يوقف القرار الأمريكي الذي اتخذه بوش ومساعدوه!

الشاعر السجين

كثير من الذين طالت إقامتهم في السجون لا يريدون أن يبرحوها. لقد اعتادوا الحياة بين السجناء، وعلى الطعام والشراب والانضباط وسوء الظن بالناس خارج السجون: فهم يرون أن «الناس اللي جوه أفضل من الناس اللي برّه» فالجواني أفضل من البراني. وكثيرًا ما وقف السجين الذي أطلق سراحه أمام السجن في ذهول كالسمكة التي خرجت من الماء.

بعض السجناء اختار بكامل حريته أن يعود إلى السجن والماضي الذي اعتاد عليه. وقد نشرت «الشرق الأوسط» أن سجينًا إسبانيًّا توسل أن يعود إلى السجن الذي أمضى فيه خمسين عامًا، فقالوا له من الممكن أن يعينوه عاملا، فرفض لأنه يريد أن يكون سجينًا، وكان صعبًا عليهم وضعه في السجن بلا ذنب جناه، فارتكب الذنب.

شيء من مثل ذلك وجدته في مدينة بورتو فينو الإيطالية الجميلة، فهناك سجن به كافتيريا، والذي يدير السجن والكافتيريا معًا هو السجين. والسجين شاعر، نظم قصيدة قذف عنيف في أحد الزعماء السياسيين وحوكم، وتقرر سجنه، فتدخل الأدباء والشعراء والساسة للإفراج عنه – كما فعل فلاسفة فرنسا وأدباؤها وتظاهروا من أجل

الإفراج عن الأديب جان جينيه الذي هو رجل مريض، وهو مصرٌ على أن يعيش من السرقة. حاولوا معه، لكنهم فشلوا فقد قرر أن يعيش لصًا ويلقى الجزاء الذي يستحقه. وكان الفيلسوف الوجودي جون بول سارتر قد تقدم ليدافع عن حرية الأديب في أن يعيش كما يريد!

قابلت الشاعر الإيطالي السجان السجين، وروى لي حكايته، وأسعدني أن أجلس إليه وأشرب معه، وأدفع الثمن والبقشيش الذي يطلبه ليشكرني في النهاية. هل هو ساخط على كل شيء؟

الجواب: نعم.. هل كانت المرأة هي السبب؟ الجواب نعم. هل هي زوجته؟ الجواب: نعم. هل هي المرأة الوحيدة في حياته؟ الجواب: لا. فقد عرف كثيرات وهرب.

وفي كل ليلة يشير إلى أن الوقت حان ويقول: ساعدني، فأجمع معه المقاعد وأواني الزهور وندفعها معًا إلى الكافتيريا ويغلق بابها ويصعد الدرج إلى باب السجن، ويمد يده من الداخل ليحكم سلاسل السجن ويغلق النافذة في تمام الثامنة مساء ليقول: تصبح على خير!

معلهش اللّه يسامحك

خطر لي مرة أن أجد تفسيرًا لكلمة يرددها الإخوة السعوديون ألف مرة في اليوم، مجرد محاولة، اجتهاد، أما الكلمة فهي: سم.. إذا ناديت أحدًا يقول بسرعة: سم.. ولم أشأ أن أسأل أحدًا عن المعنى وإنما قلت لنفسي: حاول.

وحاولت، وقلت ربما كان معناها أن المتحدث يريد أن يقول لك: سم فعل أمر. أي ما اسم الشيء الذي تريده، عليك أن تسميه وأنا آتي به أو أنفذه لك، وقلت إنهم في اللغة الإنجليزية يقولون: .Name it وبس، هل أنا ادعيت أنني لا قبلي ولا بعدي؟ هل قلت إنني قررت أن هذا هو المعنى يجب أن يلتزم أي إنسان إذا سئل، هل قلت إنني نقلت هذا المعنى عن أحد المفسرين الكبار؟ لم أقل، وإنما قلت لعله أن يكون هذا هو المقصود، انتهى!

ومضت أيام وإذا بأحد الكتاب في مجلة سعودية يتهمني بالقنزحة والحذلقة والهجص!

ومثل هذه العبارات ما دخلك أنت في الذي يقوله السعوديون؟ وما الذي تعرفه عن اللهجة العامية والكلمات النبطية؟ وقال خير لي أن أسكت، وأن أضع لساني تحت أسناني وأسكت!

ووجدت مقالاً آخر يقول إن كلمة (سم) هي اختصار بسم الله الرحمن الرحيم – يجوز!

ومنذ أيام وجدت نفس الكاتب يتعرض لبعض الكلمات العامية في اللهجة المصرية ويقول: إن كلمات: مافيس.. مفيش.. معناها ما في شيء.. وكلمة معلهش.. أي ما عليه شيء.. وكلمة أيش: أي شيء.. إلخ. وكلها معروفة الأصل ولكن كتبها كأنه كولمبوس وقد اكتشف أرضًا جديدة بعد رحلة طويلة في المحيط، أو كأنه أرشميدس عندما قال: أويركيا – أي وجدته.

ولم أشأ أن أرد عليه وأقول: من أنت حتى تجلس على مقعد الإفتاء في لهجة لا تعرفها، وأخذت بنصيحته ووضعت لساني تحت وفوق أسناني!

وتذكرت أن الزميل الفاضل قد هاجمني قبل ذلك، فعندما ذهبت إلى جدة لأول مرة وجدت لافتات كثيرة تقول: فقيه للدواجن! وكل ما خطر لي هو أن (فقيه الدواجن) يعني الطبيب البيطري الخاص بالطيور، وأدهشني أن تكون الدواجن في حاجة إلى أطباء بهذا العدد، لأن اللافتات الخاصة بهذا الفقيه كثيرة.

ثم عرفت وأصبح هذا الفقيه صديقي هو وأخوه، د. سليمان فقيه صاحب المستشفى العالمي.

.. وكل الطيبات بنات!

لأسباب غير واضحة مسح التلفزيون المصري كثيرًا من التسجيلات التاريخية. مسحوها ليسجلوا عليها خطب الرئيس عبد الناصر. ومن الأشرطة التي مسحوها: أول حلقة في برنامج كنت أقدمه للتلفزيون اسمه «نجمك المفضل». وكانت الحلقة الأولى مع أستاذنا طه حسين، وكنا عشرة نناقشه: نجيب محفوظ ويوسف السباعي وثروت أباظة وأمين يوسف غراب وعبد الرحمن صدقي وعبد الرحمن الشرقاوي وكامل زهيري وأنا.. ولكن حصلت على نسخة من صديق سعودي وأهديتها للتلفزيون. كما مسحوا تسجيلاً مع توفيق الحكيم وبقي تسجيل مع العقاد. ومسحوا تسجيلاً مع د. حسين فوزي ود. لويس عوض والشاعر عزيز أباظة.

وكلها وثائق تاريخية بديعة، فلأول مرة يرى المشاهدون هؤلاء الكبار ويسمعون منهم.

أما الذي أوجعني أنهم مسحوا تسجيلاً مع المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعي قبل وفاته بأيام، وهي المرة الأولى التي نرى فيها عبد الرحمن الرافعي الطيب الهادئ الصافي النقي، والذي ينفعل

قليلاً عندما يتحدث عن دوره في التاريخ والثورة الوطنية، وعن حبه لمصطفى باشا كامل وكفاحه.

وإذا أنت رأيت عبد الرحمن الرافعي أو جلست إليه، فسوف تحس أنه والدك أو تتمنى ذلك. سألته. قل لنا يا أستاذنا هل كانت في حياتك قصة حب؟ فأجاب: نعم. فالحب غريزة إنسانية، ومن أشرف الغرائز.

سؤال: يعني هل كانت لك قصة حب مع زوجتك قبل الزواج؟ فاعتدل مستنكرًا وقال: لا، إنها من عائلة كريمة، وأنا لم أعرفها، وإنما أحببتها بعد الزواج، فالحب يجيء بعد الزواج.

وكانت له ثلاث من البنات وليس له أولاد ذكور، وقد أدهشتني هذه النظرية الساذجة الطيبة، ورأيت أنها مفتاح شخصية عبد الرحمن الرافعي، وأنه ابتداء من هذه اللحظة يجب أن نفسر كل مواقفه أخلاقيًّا، فمدرسة عبد الرحمن الرافعي هي التفسير الأخلاقي للتاريخ، فهو يكره اللصوص و«الكدابين» – أي أنه يكره السياسة كلها لأنها تكذب وتخون وتخدع – فهو إذن ليس مؤرخًا موضوعيًّا.

ويكفي أنني عندما اندهشت لرأيه في المرأة والزواج، قال بملء فمه وسعادته الغامرة، إن هذا أيضًا رأي أمير الشعراء شوقي الذي قال: «وكل الطيبات بنات!».

الفهرس

مصيبة وجدت اسمي بين عارضات الأزياء! 3
كنا هناك عند خلق الكون! 5
وما تزال الكهوف تقول! 7
يا أي طفل ويا أي شيخ تعال وتعلم! 9
المرأة تتجمل وتتعرض وتنتظر! 11
شعراء مقاتلون لا قاتلون! 13
لأنها قنابل ذرية إسلامية فهي خطرة! 16
ملايين الدولارات كسبها المؤلف والمنتج! 18
وصل الرواد سالمين .. شكرًا!! 21
الوهم أخطر أمراض المثقفين 23
جسمها يتكلم ولكنها لا تنطق! 25
كنت أقاوم الملل عندنا جميعًا! 27
يا أولاد الحلال هاتف هذا الرجل! 29
شيء أقسى من النكسة! 31
انظر ماذا يدخن كبار الصحفيين 33
أصبحوا (الآخرين) فوجبت الحرب! 35
كنا وجوديين نقرأ عن الحياة ولا نعيشها! 37
اضحك حتى لو لم يكن هناك سبب 39
التفسير هناك كيمياء بينهم 41
ولقد صنعتك من هواي ومن جنوني! 43
المرأة بالذخيرة الحية لملاقاة الرجل! 45
تقدم الحصان شامخًا وقفز في حوض الموت 48
كان لابد أن أحذف 300 صفحة! 50
وقال لي الرئيس السادات لا والله! 53
مطلوب وصفة لكي أنام نومة الكلاب! 55
والله أعلم! 57
مات الكلب ولا عزاء! 59
هل الحياة على الأرض أصلها فيروس؟ 61
عينا نفرتيتي وشكسبير لماذا؟! 64
الملك فيصل والسلطان فؤاد يعيش يعيش؟! 66
كيف يستعدون للكتابة؟! 68
كيف لا أكون وجوديًا؟! 70
رحم الله الموسيقار والمطربة وست الحبايب! 72
إنما أردت أن أقول! 74
الصمت والحب يا ولداه 76
وكان نوم الرئيس على الأرض عميقًا 78

عشت في جلابيب كثيرة! 80
أيها الخائن عفوا فأنت بريء! . . . 82
عروس تفتك بالأطفال! . . 84
وعد أخاه بقتل أي مصري! 86
وهربت وما زلت خائفا! 88
تهون الأرض إلا (طابا)! . 90
وكان ضعفهم قوة مضافة! . 92
كيف كانوا وكيف صاروا؟! 94
هؤلاء أقذر مخلوقات الله! 96
هل الحاسة السادسة حقيقية؟ . 98
وكانت قصة حياته أم كلثوم! 100
وقد وعدني قذاف الدم 102
الشاي الأخضر حتى لا تنسى! . . . 104
كلمات وأصداء لا تموت! 106
النوبة أصل الحضارة المصرية! 108
صورة الشيطان بقلم شيطان! . 110
سعادتك بين يديك أنت سعيد لماذا؟ أنت تعيس لماذا؟ 112
دعوت الله يأخذها قريبا! 114
الحل تضليل هذه الأحجار بعيدا عنا! 116
يمكن الاعتماد على أنفك! 118
نعيق الغراب كهديل الحمام لغة! 121
قفص وأجنحة متكسرة وصمت رهيب! 124
شاب حليوة يغني لسلطانة الطرب! . 126
بل هناك مؤامرات دائما! . . 128
ليست كأهرامات مصر! . 130
التوائم ليست متشابهة تماما! . 132
رأيت وسمعت السادات ممثلاً! . 134
الثرثرة من ذهب! . 136
يهون العمر إلا ساعة! . . . 138
اكذب اكذب حتى يصدقك الناس! 140
مستر أداموس لا يزال يقول! 142
فلما رأى الملح أسلم 144
إلا الحديث فإنه أبدا حديث! 146
هذه الديوك تصيح ظهرا 148
ذهبت وخطبت وصليت بالناس 150
فلوس يوسف عز الدين! 152
لا أسمع ولا أتكلم من فضلك! 154
إن كان عندك تلسكوب 156
صعلكة قوانين الطبيعة في شرنوبل! 158
هربنا من قبلة مناحم بيجين؟! 160
للمرة الألف هل أصل الإنسان قرد؟ 162

اللهم ارزقني بلعبة أو لعبتين! 164
لو كان عندنا ألف ألف زمار! 166
تعلمت من قليل الأدب 168
يا قاضيًا بات أعمى! 170
أسوأ من الإنفلونزا.. انتظارها! 172
ولدت في مدينة التسامح الديني 174
بعيد بعيد وحدينا مع هذه العجوز؟! 176
الذي خرج ولم يعد! 178
لا أحبه وإنما أعشقه؟ 180
حمدًا لله على سلامة القمر! 182
كتبنا المقدسة في جزيرة مندناو 184
أن تلعب صغيرًا هذا أسلم 186
وآفة هذا الزمن: الصحف! 188
عبارة هادئة عن رحلة مخيفة! 190
وما تزال الأطباق تطير! 192
لأنهم متعلمون فقراء! 194
أساتذتنا حيوانات وحشرات! 196
قل لي من فضلك ما المعنى؟ 198
فلما رأى المريخ غلبه النوم! 200
خيول ورجال وزهر القمر! 202
لا يهم اسمها.. فهي جميلة! 204
أخذت الشر وراحت! 206
تمنياتي ألا تفيق من السعادة! 208
كيف تدهشنا هذه القرصنة؟ 210
الشاعر السجين 212
معلهش الله يسامحك 214
وكل الطيبات بنات! 216

مؤلفات الكاتب الكبير

الأستاذ
أنيس منصور

(ا) ترجمة ذاتية:

1 - في صالون العقاد.. كانت لنا أيام.
2 - عاشوا في حياتي.
3 - إلا قليلاً.
4 - طلع البدر علينا.
5 - البقية في حياتي.
6 - نحن أولاد الغجر.
7 - من نفسي.
8 - حتى أنت يا أنا.
9 - أضواء وضوضاء.
10- كل شيء نسبي.
11- لأول مرة.
12- شارع التنهدات.

(ب) دراسات سياسية:

13- الحائط والدموع
14- وجع في قلب إسرائيل.
15- الصابرا (الجيل الجديد في إسرائيل).
16- عبد الناصر - المفترى عليه والمفتري علينا.
17- في السياسة (3 أجزاء).
18- الدين والديناميت.
19- لا حرب في أكتوبر ولا سلام.
20- السيدة الأولى.
21- التاريخ أنياب وأظافر.
22- الخالدون مائة - أعظمهم محمد (ﷺ).
23- على رقاب العباد.
24- ديانات أخرى.
25- وكانت الصحة هي الثمن.
26- الغرباء.
27- الخبز والقبلات.

(جـ) قصص:

28- عزيزي فلان.
29- هي وغيرها.
30- بقايا كل شيء.
31- يا من كنت حبيبي.
32- قلوب صغيرة.

(د) مسرحيات مترجمة:

** للأديب السويسري فريدريش ديرنمات.

33- رومولوس العظيم.
34- زيارة السيدة العجوز.
35- زواج السيد مسيسبي.
36- الشهاب.
37- هي وعشاقها.

** للأديب السويسري ماكس فريش:

38- أمير الأراضي البور.
39- مشعلو النيران.

** للأديب الفرنسي جان جيرودو:

40- من أجل سواد عينيها.

** للأديب الأمريكي آرثر ميللر:

41- بعد السقوط.

** للأديب الأمريكي تنسي وليامز:

42- فوق الكهف.

** للأديب الأمريكي يوجين أونيل:

43- الإمبراطور جونس.

** للأديب الفرنسي يوجين ليونسكو.

44- تعب كلها الحياة.

** للأديب الفرنسي أداموف.

45- الباب والشباك.

** للأديب الإسباني أرابال:

46- ملح على جرح.

(هـ) دراسات نفسية:

47- الحنان أقوى.

48- من أول نظرة.

49- طريق العذاب.

50- ألوان من الحب.

51- شباب.. شباب.

52- مذكرات شاب غاضب.

53- مذكرات شابة غاضبة.

54- جسمك لا يكذب.

55- الذين هاجروا.

56- غرباء في كل عصر.

57- أظافرها الطويلة.

58- هموم هذا الزمان.

59- زمن الهموم الكبيرة.

60- الحب الذي بيننا.

61- عذاب كل يوم.

62- كيمياء الفضيحة.

63- كل معاني الحب.

(و) دراسات علمية:

64- الذين هبطوا من السماء.

65- الذين عادوا إلى السماء.

66- القوى الخفية

67- أرواح وأشباح.

68- لعنة الفراعنة.

69- دقات الصحة هي الثمن.

(ز) نقد أدبي:

70- يسقط الحائط الرابع.

71- وداعًا أيها الملل.

72- كرسي على الشمال.

73- ساعات بلا عقارب.

74- مع الآخرين.

75- شيء من الفكر.

76- لو كنت أيوب.

77- يعيش.. يعيش.

78- الوجودية

79- طريق العذاب.

80- وحدي.. مع الآخرين.

81- ما لا تعلمون.

82- لحظات مسروقة.

83- كتَاب عن كتب.

84- أنتم الناس أيها الشعراء.

85- أيها الموت . لحظة من فضلك

86- أوراق على شجر.

87- في تلك السنة.

88- دراسات في الأدب الأمريكي.

89- دراسات في الأدب الألماني.

90- دراسات في الأدب الإيطالي.

91- فلاسفة وجوديون.

92- فلاسفة العدم.

(ح) رحلات:

93- حول العالم في 200 يوم.

94- بلاد الله خلق الله.

95- غريب في بلاد غريبة.

96- اليمن ذلك المجهول.
97- أنت في اليابان وبلاد أخرى.
98- أطيب تحياتي من موسكو
99- أعجب الرحلات في التاريخ.
100- ماذا يريد الشباب؟
101- الرصاص لا يقتل العصافير.

(ط) مسرحيات كوميدية:

102- مدرسة الحب.
103- حلمك يا شيخ علام.
104- مين قتل مين؟
105- جمعية كل واشكر.
106- الأحياء المجاورة.
107- سلطان زمانه.
108- العبقري.
109- كلام لك يا جارة.
110- فوق الركبة.
111- هذه الصغيرة (وقصص أخرى).
112- يوم بيوم.
113- إنها الأشياء الصغيرة.
114- إلا فاطمة.
115- القلب أبدًا يدق.

(ي) المسلسلات التليفزيونية:

116- حقنة بينج.
117- اتنين اتنين.
118- عريس فاطمة.
119- من الذي لا يحب فاطمة؟
120- غاضبون وغاضبات.
121- هي وغيرها.
122- هي وعشاقها.
123- العبقري.
124- القلب أبدًا يدق
125- يعود الماضي يعود.

(ك) كتب (مقالات):

126- ثم ضاع الطريق.
127- النجوم تولد وتموت.
128- هناك أمل.
129- أحب وأكره.
130- الحيوانات ألطف كثيرًا.
131- مصباح لكل إنسان.
132- أتمنى لك.
133- لعل الموت ينسانا
134- اقرأ أي شيء.
135- ولكني أتأمل.
136- حتى تعرف نفسك
137- الحب والفلوس والموت.. وأنا.
138- نحن كذلك !!
139- اللهم إني سائح.
140- كائنات فوق.
141- تعال نفكر معًا.
142- آه لو رأيت !
143- النار على الحدود: لعبة كل العصور.
144- انتهى زمن الفرص الضائعة !
145- هناك فرق.
146- الرئيس قال لي.. وقلت أيضًا - الجزءان الأول والثاني.
147- يا نور النبي.
148- وأنت ما رأيك؟
149- حضارة الإوز والبقر.
150- حلمنا الجميل
151- ضاع الجيل ضاع.
152- قالوا (الجزءان الأول والثاني).
153- وآخرتها
154- من أول السطر.

155– أظافرها الطويلة.

156– القلب لا يمتلئ بالذهب.

157– تكلم حتى أراك.

158– الذي خرج ولم يعد.

159– ليلة في بطن الحوت.

160– والله زمان يا حب.

161– أجيال من بعدنا.

162– قلبك يوجعني.

(ل) الترجمات القصصية:

163– رواية (الجائزة) للكاتب الأمريكي أرفنج والاس.

164– (المثقفون) للأديبة الوجودية سيمون دبوفوار.

165– (لو كنت مكاني) للأديب السويسري ماكس فريش.

166– (قصص مورافيا) للأديب الإيطالي ألبرتو مورافيا.

167– (الجلد) للأديب الإيطالي كورتسيو ملبارته.

168– (الجيل الصاخب) للأديب الأمريكي جينز برج.

(م) الترجمات الفلسفية:

169– الفلسفة الوجودية الألمانية - لإميل تسلر.

170– الفلسفة الوجودية الفرنسية – لجان جاك رسو.

171– معنى العدم عند هيدجر وسارتر – لجانيت أردمان.

172– مسرح العبث الفرنسي – لإتيان ماريبو.

173– الفيلسوف الروسي برديائف – لفيكتور لوزتسيف.

174– من كيركجور إلى مارسيل – لأنطوان بابيف.

175– سيمون دبوفوار تلميذة رصينة – لفرنسواز روسلان.

176 – رسائلها إليه – لفرنسواز روسلان.

177– فاشلون لكن نبلاء – لجان ماري روار.

178– ما الميتافيزيقا؟ – لمارتن هيدجر.

179– الوجودية فلسفة إنسانية – لجان بول سارتر.

180– فلسفة حنا أرنت – تلميذة للفيلسوف الألماني مارتن هيدجر – لآدم برجشتاين.

181– كروتشه فيلسوف الحرية – لإيرابيلا دلورنتس.

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع

الذي خرج ولم يعد

رأى كبير آلهة الإغريق (زيوس) أن الإنسان وحيد؛ فقرر أن تكون له زوجة، وطلب من بقية الآلهة ان يمنحها كل واحد منهم صفة، وهذه الصفة هي الهدية وتم ذلك ثم سألهم: ماذا نسميها؟ فقال أحدهم: نسميها باندورا أي التي عندها كل الصفات، وكانت باندورا هي حـواء الأسـاطير الإغريقيـة، ورأى كبير الآلهة أن يحبس كل الشرور في صندوق وأن يبعث لها بالصندوق وأوصاها ألا تفتحه ثم حذرها وإلا كان خطرًا عليها وعلى زوجها، وفي يوم سمعت صوت استغاثة داخله ففتحت الصندوق فخرجت أشكال وألوان غريبة من الكائنات تلسعها وتنهشها وتوجعها في كل مكان، وكذلك زوجها. وفي يوم جلس [illegible] نظر إلى الصندوق، فسمعت صوتًا ن[illegible]، أنا لا أجرح ولا أوجع، أنقذيني لكي [illegible] صندوق فخرج كائن رقيق جميل يط[illegible] حيه في كل مواجعها وإذا بها شفي[illegible] ها، أما هذا الكائن الجميل فهو الأمل[illegible]

ولكن باندورا في زماننا فتحت [illegible] ج الأمل وبقيت الشرور كما هي، فكأ[illegible] ة واحدة ولم يعد!

Bibliotheca Alexandrina
07558462

6 221133 339667

نهضة مصر
للطباعة والنشر والتوزيع